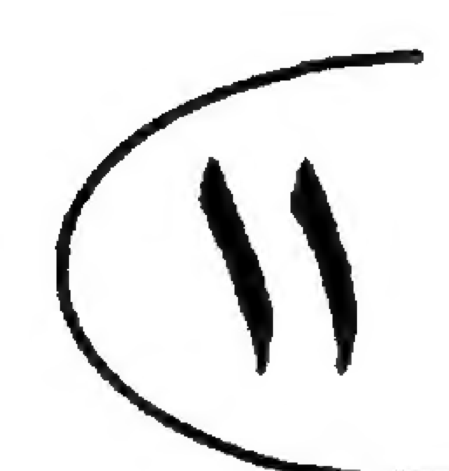


روايات الجيل الرومانسية
١١
قيثارة
الفاتنة الصغيرة
تأليف
مجدي صابر

الفاتنة الصغيرة



روايات الجيل الرومانسيّة



الفاتنةُ الصّغيرة

تأليف

مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

جَمِيعُ الحقوق مَحفوظَة لِدَار الجِيل

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

« الفاتنة الصغيرة »

توقفت السيارة الأسبور الحمراء الصغيرة أمام باب الفيلا الأنيقة بفرامل حادة.

وانفجر فريد الجالس إلى عجلة القيادة بضحكة عالية مستمتعة، عندما ارتطمت رأس زميله إيهاب الجالس بجواره بـ « تابلوه » السيارة بشدة.

كان عمر فريد يقترب من الخامسة والعشرين .. وقد بدا ثراء أسرته البالغ ممثلاً في السيارة الحديثة الأنيقة وسلسلة مفاتيحها المصنوعة من الذهب الخالص. أما إيهاب فكان يصغر صديقه بعامين على الأقل .. وكان يبدو أقل اندفاعا وتهورا منه.

وهتف إيهاب متألماً : أيها الأحمق .. هل أردت قتلي ؟

أجابه فريد : لقد أردت فقط أن أثبت لك متانة سيارتي الجديدة الرائعة.

وجلجلت ضحكته أعلى عن ذي قبل. وقفز إيهاب من فوق باب السيارة المغلق قائلاً : في المرة القادمة سأفضل العودة سيرا على الأقدام، بدلاً من ركوب سيارتك يا فريد .. أنت تصبح مجنونا عندما تقود سيارة، وخاصة ذلك الطراز الرياضي الحديث.

فريد : ولهذا طلبت من والدي أن تكون هديته لي سيارة « أسبور » فاخرة من أحدث طراز.. وها أنت ترى أي سيارة رائعة قد أهداها لي.

تساءل إيهاب في غيظ : وماذا كانت المناسبة لتقديم الهدية ؟

هزَّ فريد كتفيه قائلاً : ليست هناك مناسبة سوى أنه قد مرت ستة أشهر لم أغيّر فيها سيارتي.

عاد إيهاب يتحسس جبهته في بعض الحسد قائلاً : يا لك من محظوظ .. إن والدي لا يوافق على تغيير سيارتي إلا مرة كل عامين .. وبشرط النجاح في الجامعة بتقدير عال.

فريد : ذلك لأن والدك ليس كوالدي.

إيهاب : هذا صحيح .. الجميع يعرفون أن والدك رجل أعمال يكسب الملايين دون جهد، حتى أنهم اسموه « بالحوت » لأنه في مجال المال لا موضع في قلبه للرحمة بالمنافسين و .. قاطعه فريد محذراً : إيهاب .. حاذر أن تذكر والدي بسوء.

ايهاب : لم أقصد شيئاً .. فقط كنت أردد ما يقوله الناس.

وأشار لصديقه قائلاً : ألن تأتي للداخل ؟

فريد : لا .. لديّ ميعاد هام ولا أرغب في التأخر .. وبالكاد سأتمكن من اللحاق بالموعد المضروب في النادي الأهلي مع سوزي.

قهقه إيهاب قائلا : أما زلت على علاقة بتلك الفتاة ؟

فريد : إنها فتاة رائعة .. جمالها لا مثيل له .. وعندما يشاهدنا رواد النادي معا يكادون يصابون بالشلل من الغيظ والحسد.

إيهاب : ولكنها تنقلب إلى وحش إذا غضبت.

فريد : ولهذا تجدني أُسرع إلى ميعادها حتى أتجنب غضبها .. وداعاً يا صديقي.

ولكن ما كاد فريد ينطلق بسيارته عدة أمتار، حتى أوقفها بفرامل حادة، فدارت السيارة حول نفسها مطلقة سحابة من التراب خلفها. فالتفت إيهاب نحو السيارة في جزع، ولكن سائقها كان يبدو مشغولاً بشيء آخر.

كانت عينا فريد مصوَّبَتيْن نحو تلك الفتاة الساحرة التي دنت من أسوار الفيلا، ثم خطت إلى بابها المفتوح، وأومأت برأسها في خجل لإيهاب فجاوب إيحاءتها في صمت، واتجهت بعدها إلى داخل الفيلا وهي تسير في خط مستقيم وعيناها منكستان إلى الأرض.

وراقب فريد الفتاة كالمأخوذ .. كان عمرها لا يزيد على الثامنة عشرة، وملامحها تبدو أقرب إلى الطفولة البريئة، ولكن هذه الملامح نفسها كانت تشي بجمال ورقة لا مثيل لهما، فالوجه مستدير في بياض مشرَّب بحمرة رائعة. كسبته صحة وعافية .. والعينان سوداوان واسعتان والأنف دقيق صغير، والفم مزموم بقوة، والشفتان حمراوان كالفراولة

الناضجة.. أما الشعر فكان بلون الذهب بالرغم من أن لصاحبته عينين سوداوين. أما بدن الفتاة فكان نحيلاً .. ولكن برغم ضآلته كان يشع فتنة وإثارة .. لم تفلح الملابس الرخيصة التي كانت ترتديها صاحبتها في إخفائها فبدت كأنها غادة رائعة الجمال يحيط بها سحر لا يقاوم وجاذبية طاغية.

قفز فريد لاهثا من سيارته، وأقبل نحو إيهاب هاتفا بعينين واسعتين عن آخرهما : من تلك الفتاة التي دخلت الفيلا منذ لحظات ؟

أجابه إيهاب بعدم اكتراث : أتقصد ليلى ؟

غمغم فريد كأنما يحدث نفسه : إذن فاسمها ليلى .. لو كانت « ليلى العامرية » التي أحبها « قيس » بمثل هذا الجمال، لكان على حق في أن يجن بسببها.

قال إيهاب دون اهتمام : إنها ليست سوى طفلة لا يزيد عمرها عن الثامنة عشرة وتدرس الثانوية العامة.

هتف فريد لاهثاً : بل هي أنثى كاملة فاتنة وليست طفلة .. إن اكتمال الجمال والأنوثة ليس بعدد السنوات

أبداً .. أنت لا تفهم في مثل هذه الأشياء يا صديقي .. أما أنا فخبير بها.

قال إيهاب ساخراً : كنت أظنك متعجلا خشية من تأخرك عن موعدك مع سوزي.

لوح فريد بيده في استياء قائلا : لتذهب سوزي إلى الجحيم .. إنها لا شيء بالنسبة لتلك الساحرة .. ليلى.

وحدّق في صديقه بشك قائلا : إنك لم تخبرني عنها من قبل أيها الماكر .. هل كنت تستأثر بها لنفسك ؟

أجابه إيهاب باسماً : وهل تظن أن تلك الفتاة التي تذوب خجلا يمكن أن يستأثر بها إنسان .. إنها فتاة مختلفة عن كل الفتيات اللواتي قابلتهنَّ وصادفتهنَّ.. إنني حتى لم أحظ منها بابتسامة.

حدّق فريد في إيهاب بدهشة .. كانت المرة الأولى التي يعلن فيها صديقه عن فشله في كسب صداقة فتاة .. وكان الأمر يبدو لفريد غامضا مُحيّراً بشكل ما.

تساءل فريد في شك : هل هي قريبة لك ؟

أجابه إيهاب مراوغا وكأنه يتلذذ بحيرته : وهل تظن أن قريباتي يرتدين مثل هذه الملابس الرخيصة أو يأتين لزيارتنا سيراً على الأقدام ؟ اكتسى وجه فريد بحيرة بالغة وهو يتساءل : إذن من هي .. أخبرني ؟

رفع إيهاب يديه ببساطة قائلاً : إنها ابنة الخادمة التي تعمل لدينا.

اتسعت عينا فريد في ذهول بالغ، وغمغم في عدم تصديق : ابنة الخادمة ؟

ورفع صديقه يَدَيْه في لوم حاد قائلاً: ليس هذا وقت الهزل .. أخبرني من هي بسرعة ؟

ــ أخبرتك أنها ابنة الخادمة التي تعمل لدينا.

ــ ابنة حسنية الخادمة .. مستحيل !

ــ ولم لا .. أليس الخدم بشرا مثلنا .. أم أن إنجاب الفتيات الجميلات مقصور على الأثرياء وأبناء الطبقة الراقية فقط ؟.

تساءل فريد في ذهول بالغ : هل تعني أن تلك الفتاة

الفاتنة الرقيقة .. هي ابنة تلك المرأة المتصابية التي تعمل خادمة لديكم ؟.

أومأ إيهاب في توكيد : هذا صحيح تماما .. وأنا نفسي اندهشت عندما عرفت تلك الحقيقة لأول مرة .. ولكن مع الوقت أصبح ذلك أمراً عادياً. تساءل فريد لاهثاً وهو ينظر إلى صديقه في شك : وما الذي يأتي بتلك الفتاة إلى هنا ؟

إيهاب : لا تسئ الظن يا صديقي .. إنها تأتي لاصطحاب والدتها إلى المنزل، فأمها مريضة أو تتظاهر بالمرض حتى تعمل نصف الوقت فقط بأجر كامل ودون أن نُكلفها بأي عمل شاق .. فهي امرأة ماكرة.

عاد فريد يردد في عدم تصديق : هذه المرأة المتصابية ذات العطر الرخيص المقزز .. هي أم تلك الغادة الساحرة الصغيرة ؟.

زم إيهاب شفتيه في ضيق ثم قال : بل الأسوأ أنني ضبطت هذه المرأة وهي تسرق بعض الملاعق الفضية من الفيلا .. ولكنني اضطررت للسكوت وعدم فضحها أمام

والديّ بسبب بكائها واسترحامها لي، بأنها اضطرت لذلك لأنها تنفق على زوج مريض وابنة في الثانوية العامة هي ليلى، وأن قطع عيشها سيتسبب في موت الزوج وتشريد ليلى ورسوبها .. وتظاهرت بتصديقها .. وربما فعلت ذلك شفقة بليلى .. حتى لا يكون الطريق مأواها .. ولعل من أجبر هذه المرأة على السرقة هو زوجها، فهو لص قديم سُجن بسبب السرقة من قبل، وتقول حسنية عنه أنه تاب منذ خرج من السجن ولكني لا أظن ذلك .. فمثله لا يتوب أبداً لأن الشر متأصل فيه.

تألقت عينا فريد وهتف : يا لغرابة القدر .. هذه الفتاة الفاتنة ابنة لص وخادمة .. لا شك أنها ستكون نوعا جديدا من الفتيات مليئا بالإثارة .. وسيكون شيئاً رائعاً عندما أصطحب تلك الفتاة الفاتنة إلى النادي متأبطا ذراعها وقد ارتدت أحدث خطوط الموضة التي سأغريها بها، فيحسدني كل رواد النادي لجمالها الفاتن.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه إيهاب وقال : لا تتعب نفسك يا صديقي .. إنها فتاة مستقيمة ولا تنطلي عليها مثل تلك الألاعيب.

أجاب فريد بسخرية أشد : هراء .. الفقراء دائماً تنهار استقامتهم أمام جبروت المال .. وفتاة مثل هذه لا شك أن نصف أحلامها هو الحصول على ملابس جديدة.. وهي على استعداد لإسعاد من يحقق لها أحلامها دون شك وسترى بنفسك.

وظهرت حسنية من داخل الفيلا وقد عقصت شعرها بمنديل محلى بالترتر، ورداؤها الأحمر اللون الفاقع لا يتناسب مع عمرها الذي تجاوز الخمسين. وأقبلت حسنية تلوك لبانة وخلفها ابنتها تسير منكسة الرأس ووجنتاها تشعان بالخجل، وخطواتها متزنة فوق نفس الخط المستقيم. وما أن لمحت حسنية إيهاب حتى توقفت عن لوك اللبانة وتظاهرت بالمرض واستندت على ابنتها كأنها لا تقوى على السير، فشحب وجه ليلى بشدة لتصرف أمها المكشوف، وهي ترى إيهاب وصديقه يرمقانها في تمعّن.

واقترب فريد من حسنية ونظرة خبيثة تلمع في عينيه وهو يسألها : كيف حالك يا حسنية ؟.

تأوهت المرأة متظاهرة بالألم وهي تجيب : إنني مريضة

كما ترى .. وربما أضطر للتغيب غداً وبعد غد بسبب المرض.

أجابها فريد كأنه صاحب المنزل: لا بأس.. لا تقلقي بسبب ذلك فمن حقك إجازة مرضية.

وأخرج من جيبه حفنة أوراق مالية حمراء مدها إليها، فأمتلأت عينا المرأة ببريق الجشع وتساءلت : ما هذا ؟

أجابها فريد في بساطة : لا شيء .. إنها مائة جنيه من أجلك .. فقد تكونين في حاجة إلى دواء وطعام .. المهم أن تعودي إلينا وقد شفيت تماما.

امتدت يدا المرأة تختطف النقود كأنها لا تصدق .. وشحب وجه ليلى أكثر وتطلعت إلى أمها لاهثة وعيناها تشيان بالصراع المؤلم الدائر في عقلها، وهي ترى أمها تتصرف على ذلك النحو كمتسولة.

وانسحبت المرأة مع ابنتها وهي تدعو لفريد الذي اتسعت ابتسامته الساخرة وهو يراقبها وابنتها.. وما أن اختفيتا عن الأنظار حتى التفت فريد نحو صديقه قائلاً : ها قد قمت بالخطوة الأولى بنجاح رائع، ولا شك أن رسالتي لليلى

قد وصلتها بأنني قادر على إنفاق الكثير .. والكثير جداً حتى دون سبب !.

أجابه إيهاب : انت تضيع وقتك يا صديقي.

فريد : سأثبت لك ما أقوله .. لقد أخبرتني أن ليلى تدرس الثانوية العامة .. ففي أي مدرسة ؟

تساءل إيهاب في قلق : فريد .. ماذا تنوي ؟

كرر فريد سؤاله في إصرار : سألتك ما اسم مدرستها ؟

ردد إيهاب اسم المدرسة في قلق .. وعلى الفور قفز فريد إلى سيارته ملوحا لصديقه قائلاً : أسبوع واحد فقط وستكون ليلى أطوع لي من نفسي وتستطيع أن تعتبر ذلك رهانا بيننا .. وأنت تعرف انني اكسب رهاناتي دائماً.

وانطلق بسيارته في صوت حاد ..

وتجهم وجه إيهاب .. وتمثل له الخطر الذي يحيط بتلك الفتاة البريئة.. بوجود شخص مثل فريد يتعقبها كذئب لا يُفلت فريسته أبداً.

« محاولات فاشلة »

لم تلاحظ ليلى السيارة الحمراء الأسبور التي تهادت خلفها ببطء عند خروجها من مدرستها وهي تسير وسط بعض صاحباتها، وقد أذابت مريلات المدرسة الزرقاء المتشابهة، الفروق الاجتماعية بين الفتيات اللاتي رحن يضحكن في مرح. وأخيرا انفصلت ليلى عن صاحباتها ولم يبق معها غير هدى التي تسكن بجوارها، والتي يعمل والدها في أحد المصانع القريبة.

وتنبهت ليلى للسيارة الحمراء التي اقتربت منها وحاذتها، ثم توقفت أمامها، ولوح من داخل السيارة شاب وسيم شديد الأناقة، وهو يهتف بها : ليلى .. أريدك في شيء هام.

شحب وجه ليلى بشدة حتى حاكى وجوه. الموتى، ثم اندفعت الدماء غزيرة إلى وجهها فأحالته إلى كرة ملتهبة

بالدماء .. وهي واقفة ذاهلة لا تدري كيف عرف ذلك الشاب اسمها ولا ماذا يريد منها. ثم تنبهت إلى أن السيارة نفسها كانت واقفة أمام باب الفيلا التي تعمل فيها أمها .. وأيقنت أنه الشاب نفسه صديق إيهاب الذي كان يقف معه بالأمس في مدخل الفيلا التي تعمل بها والدتها.

ووقفت هدى تحدّق في ليلى مندهشة وهمست لها : من هذا الشاب الوسيم وماذا يريد منك ؟

أجابتها ليلى في حيرة : لا أدري.

وقفز فريد من سيارته مقترباً من ليلى التي تراجعت في رد فعل تلقائي .. وخطر لها أن ذلك الشاب يريد إيذاءها وكادت تهرع جارية. ولكن صوت فريد المرح أوقفها قائلاً : انتظري .. إنني أريدك في شيء هام فلا تخشي شيئاً.

غمغمت في صوت باك وهي تتذكر المائة جنيه التي منحها لأمها بالأمس : ماذا تريد مني ؟.

قال وهو يقترب أكثر : هل يكون الحديث هكذا بين الأصدقاء ؟

أجابته وقد استعادت قواها وإحساسها أن ما فعلته أمها لا يقلل من اعتدادها بكرامتها : لسنا أصدقاء .. أنا لا أصادق الفتيان.

أجابها بابتسامة ماكرة : حسنا .. لقد جئت أسألك عن أمك .. كيف صحتها ؟.

أجابته غاضبة : هل تعقبتني وانتظرتني أمام مدرستي لتسألني عن صحة أمي ؟.

أجابها باسماً : في الحقيقة أنني جئت أحمل لك شيئاً خاصاً. وأخرج من جيبه سواراً من الذهب مده إليها قائلاً : هو لك .. خذيه .. إنه هدية.

تألقت عينا هدى للسوار الذهبي الثمين، وكاد قلبها يقفز من بين ضلوعها لمرآه، وهمست لصديقتها لاهثة : خذيه منه .. إنه يساوي الكثير.

ولكن أصابع ليلى بقيت مطبقة على حقيبة كتبها تتشبث بها كأن فيها نجاتها، واشتعل الغضب في عينيها، فبانت أكبر كثيراً من سنها وإدراكها، وهتفت في فريد : لست

أخا أو قريبا .. فلماذا أحضرت لي بالذات هذه الهدية الغالية ؟.

أجابها في بساطة : ذلك لأنني معجب بك.

عاد وجه ليلى يشحب بشدة .. وأحست أنها لا تكاد تتهاوي وأن ساقيها لا تحتملان ثقلها. كانت دائما تلمح نظرات الإعجاب في العيون، ولكن أحدا لم يجرؤ على تعقبها ومحادثتها بتلك الطريقة.

وأحست بالخطر فتراجعت خطوة للوراء أمام السوار الممدود نحو أصابعها المطبقة، فهتف بها فريد مندهشا : ماذا بك .. هل تخافين مني ؟.

صاحت فيه غاضبة : إن لم تذهب حالاً فسأصرخ لأجمع الناس حولك.

ولم تنتظر إجابته أو رد فعله، بل هرولت مبتعدة بخطوات أقرب إلى الجري .. ووقفت هدى لحظة تحدق في فريد كأنها تتمنى أن يمنحها السوار .. وأمام نظرات فريد الغاضبة تراجعت ولحقت بصديقتها مهرولة.

ومن الخلف قفز فريد إلى سيارته، وانطلق بها في صوت حاد وهو يغلي بالغيظ.

وهتفت هدى في صديقتها لائمة : أيتها الحمقاء .. كان يمكنك أخذ السوار منه دون أن تمنحيه شيئاً في المقابل.

انتفضت ليلى غاضبة وهي تقول : أنا لم أعتد على ذلك أبدا .. وإذا قبلنا مبدأ الأخذ دون مقابل فيوماً ما سنقبل مبدأ التنازل دون مقابل أيضاً .. وأنا ليس لديّ ما أمنحه لأحد.

قالت هدى متحسرة : لو كنت مكانك لأخذت هذا السوار دون تردد.

توقفت ليلى وهي تحملق في صديقتها ذاهلة، وقالت لها : لم أكن أظن أن لك مثل هذه الأخلاق المطاطة .. إن ذلك ينهي ما بيننا من زمالة.

تساءلت هدى في دهشة : ماذا تقصدين ؟.

أجابتها ليلى في حدة وإصرار : لقد انتهى ما بيننا منذ الآن .. ولتذهب كل منا في طريق.

وابتعدت ليلى وهي تحتضن حقيبة كتبها، فغمغمت هدى في سخط وغضب قائلة : هذه الحمقاء .. إنها لا تملك حتى خاتماً من الفضة وترفض قبول هدية ثمينة من الذهب وتتهمني في أخلاقي .. حسنا .. سوف أُريها كيف أرد اهانتها.

ولم تخبر ليلى أحداً بما حدث نهار ذلك اليوم .. وبقيت طوال الليل تتقلب في فراشها محمومة خوفاً من خطر غامض تحس أنه يكاد يُطبق عليها. وصورة ذلك الشاب وهو يمد لها السوار بابتسامته الخبيثة تجعله يبدو أقرب إلى الشيطان يكاد يُغريها بإلقاء نفسها في الجحيم.

وفي اليوم التالي كان نصف فتيات المدرسة قد سمعن من هدى عن ذلك الشاب الذي يطارد ليلى بسيارته الأنيقة، وأن ليلى تتدلل عليه من أجل هداياه الثمينة التي تقبلها منه في الخفاء، وهي تتظاهر بالاستقامة أمامهن.

وأذهل ليلى التعليقات التي راحت تسمعها من زميلاتها .. تعليقات ساخرة جارحة عن السيارة الحمراء والسوار الذهبي.

وأدركت أن هدى قد أعلنت الحرب عليها دون ذنب منها سوى أنها صانت كرامتها، ورفضت صداقتها.

وعندما انتهى اليوم الدراسي لم يكن في صحبة ليلى أحد من زميلات الأمس .. فقد بدا وكأن الجميع قد صدّقوا ما قيل عنها .. وأنهم تحالفوا ضدها.

وعلى الرصيف المقابل للمدرسة .. كانت السيارة الحمراء واقفة تنتظر كالأمس .. وما ان شاهدتها الفتيات حتى تصاعدت أنفاسهن في إثارة بالغة وكل منهن راحت تراقب الموقف في انتظار خروج ليلى من المدرسة.

وغادرت ليلى المدرسة وقد امتلأت عيناها بالدموع لتعليقات زميلاتها.. وتماسكت كي لا تتهاوى، وقد تحولت المرئيات أمامها إلى سحابة سوداء غائمة وهي لا تكاد ترى أمامها. وفوجئت بالسيارة التي قطعت الطريق عليها وتوقفت على مسافة خطوة منها. كانت السيارة الحمراء نفسها. سيارة الأمس. وقفز منها الشاب نفسه وتقدم منها باسماً وهو يقول : لقد كنت على حق في رفضك هدية الأمس .. إنها هدية تافهة، وقد أحضرت لك ما

هو أثمن منها كثيراً .. ما رأيك في هذا الخاتم الماسي ؟ ومد يده بعلبة مجوهرات من القطيفة ولكن الوقت لم يتسع لفريد لكي يفتح العلبة، فقد فاجأته صفعة ليلى الحادة على وجهه وصوتها وهو يصرخ فيه : إن حاولت مرة أخرى أيها الوقح التعرّض لي فسأشكوك للشرطة وسينتهي الأمر بك في السجن.

وابتعدت بسرعة وقد توهج وجهها بإصرار لا مثيل له .. فأضاف إلى عمرها سنوات من النضج والرشد.

وشحب وجه فريد وأصابه ذهول بالغ .. وتحسس وجهه مكان الصفعة غير مصدق.

للمرة الأولى في حياته يتعرض لمثل هذا الموقف .. ترفض فتاة هديته وصداقته .. بل وتصفعه أيضا.

وتنبه لعيون عشرات الفتيات اللواتي رحن يحدقن فيه ويهمسن .. والضحكات الساخرة تنطلق هنا وهناك.

وانفجر الغضب في عروقه فاندفع إلى سيارته وقادها بسرعة جنونية .. على حين ترامت التعليقات الغاضبة من الفتيات نحو هدى وهُنَّ يتهمنها بالكذب فيما قالته عن ليلى.

وفي المساء لاحظ إيهاب شرود صديقه فسأله عما به .. فأجابه فريد بوجه متجهم : لقد فشلت مع تلك الفتاة ابنة الخادمة.

راقبه إيهاب في صمت .. وأدرك من شحوب صديقه وغضبه مدى الإهانة التي يحسها من ذلك الفشل الذي لم يجربه من قبل أبداً.

وحاول إيهاب التخفيف عن صديقه، فقال ضاحكا : لقد خسرت الرهان يا صديقي .. من قبل أن يمر الأسبوع الذي اشترطه.

أكمل فريد في لهجة غريبة كأنه لم يسمع ما قاله صديقه : لقد صفعتني أيضا أمام زميلاتها.

ارتسمت دهشة بالغة على وجه إيهاب .. لم يكن يظن أن الأمور قد تطورت إلى ذلك الحد .. وأن تلك الفتاة الخجول ليلى لها من قوة الإرادة والحزم ما فعلت به ذلك، فقال لصديقه في صوت متجهم : أخبرتك أنها فتاة مختلفة وطلبت منك ألا تحاول .معها وأن تبتعد عنها.

انفجر فريد في غضب هائل قائلاً : إنها ليست سوى

ابنة الخادمة لصة متصابية والابنة لا تكون إلا مثل أمها .. إن تلك الفتاة تتظاهر بالاستقامة فقط .. ربما لأنها تريد ثمنا أكبر.

قال إيهاب مهدئا صديقه : من رأيي أن تنسى الأمر كله.

هتف فريد في إصرار بالغ : لا .. بل إنني ما زلت أعتبر الرهان سارياً.

تساءل إيهاب في دهشة : ما معنى ذلك ؟

تألقت عينا فريد وقال : هناك وسيلة لا يمكن أن تفشل أبداً .. إن هذه الفتاة رفضت هداياي ربما لأنه لا علاقة ولا صلة بيننا .. ولكن إن صرت خطيبها فلا أظن أنها سترفض هداياي أو منحي ما أريد.

هتف إيهاب ذاهلا : ماذا تقول .. هل ستخطب ليلى .. وهل سيوافق والدك على خطبتك لمثل هذه الفتاة الفقيرة و .. قاطعه فريد مغمغما : ومن قال أن والدي سيعرف بالأمر ؟.

تساءل إيهاب في دهشة : وهل ستخطبها سراً ؟

أجابه فريد ساخراً : أنا لن أخطبها أبداً .. سوف يكون مجرد وعد بالخطوبة .. فسأذهب إلى والديها عارضاً أن أخطب ابنتهما، ولا شك أنهما سيوافقان ويعتبران ذلك صفقة العمر بالنسبة لهما .. وطبعا ستوافق ليلى وتعتبر نفسها فازت بشاب لم تكن تحلم به .. وسأستمهل الجميع بعض الوقت لكي نعلن الخطوبة .. وخلالها سأكون قد حصلت من هذه الفتاة على ما أريد.

والتمعت عيناه في غضب وكراهية عميقين قائلاً : أقسم أن أحطمها وأنثرها إلى شظايا تطؤها الأقدام .. بسبب ما فعلته بي أمام زميلاتها.

هب إيهاب واقفا في غضب هاتفا : هذه مهزلة أخلاقية لن أسمح بها أبداً. نهض فريد واقفا بدوره وتواجه مع صديقه بنظرات حادة، وبنفس الصوت الغاضب تساءل : وماذا ستفعل لوقف هذه المهزلة .. هل ستذهب إلى تلك الخادمة والدة ليلى محذرا .. وهل تظن أن تحذيرك سيكون أقوى من المال الذي سأمنحه لها ولزوجها اللص .. إن المال هو القوة الأعظم يا صديقي وأمامه تنهار كل القلاع والحصون وتتبدد أوهام كثيرة.

وارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه فريد، ابتسامة يقين شاب مجرب .. ونكس إيهاب وجهه الشاحب وأدرك أن شيئا في العالم لن يجعل فريد يتوانى عن هدفه .. وخاصة بعد أن أهانته ليلى بتلك الطريقة .. فقد أصبح الأمر بالنسبة له مسألة انتقام شخصي.

وفي صوت ناعم همس فريد يقول لإيهاب : هل ستعطيني عنوان خادمتكم أم أنك تفضل أن أحصل عليه بطريقتي الخاصة ؟

« دعني لحياتي »

دقت حسنية فوق صدرها بيدها صائحة في ذهول بالغ : ماذا قلت ؟

وحملق زوجها الملقب « بعباس النُص » في فريد بعينين ضيقتين تفيضان بالشك والإجرام، وقال في صوت أجش قبيح : هل جئت تهزأ بنا أيها الشاب ؟.

أعاد فريد ترتيب كلماته في هدوء قائلا : إنني أقصد ما سمعتماه جيدا .. لقد جئت لخطبة ابنتكما ليلى فما العجب في ذلك ؟.

هتفت حسنية في استنكار بالغ: أنت ابن الرشيدي بك رجل الأعمال المليونير .. جئت تطلب يد ابنتنا ؟.

فريد : وما الغريب في ذلك، أليست ابنتكما فتاة ككل الفتيات، وقد رأيتها مصادفة في فيلا صديقي إيهاب فأعجبتني

وتعلقت بها .. ولذلك جئت طالبا يدها. ابتلع عباس لعابه في صوت مسموع قائلاً : أتعني أنك أحببت ليلى ؟

ــ هذا هو ما حدث بالفعل .. والحب كما تعرفان لا يعترف بالفوارق المالية أو الاجتماعية، وإلا ما رأيتماني جئت أطلب يد ابنتكما.

ترامق عباس وحسنية في دهشة بالغة .. كان الأمر مفاجأة تامة لهما .. كانا بالفعل يطمعان في أن يزوجا ليلى لرجل ميسور بسبب جمالها غير العادي .. ولكن أحلامهما كان من المستحيل عليها أن تصل إلى أعتاب شخص كذلك الشاب الجالس أمامهما .. ولكن كوم الهدايا الذي أحضره فريد معه ووضعه فوق المائدة القذرة المحطمة كان يؤكد نيته، وأنه قادر على أن يحقق لهما المستحيل.

وأحس فريد بشعور قوي من الغثيان يتملكه لمنظر الحجرة القذرة الكالحة الحوائط حوله، وضوئها الباهت الضعيف كأنما أصحابها لا يرغبون إلا العيش في الظلام.. وذلك المقعد المهترئ المنزوعة أحشاؤه الذي جلس فوقه .. وأسقف الحجرة من أعلى تبرز فيه عيدان البوص

الذي تسقفه ويحاول سد شقوقها طلاء جيري باهت.

كان يشعر بالغثيان منذ اللحظة الأولى التي وطأ فيها ذلك المكان .. ولم يتخيل وهو يخطو عبر الحواري والأزقة الضيقة المليئة بالأطفال والكلاب والقاذورات، أن اناسا يمكن أن يعيشوا في مثل ذلك المكان القذر الذي تفوح منه رائحة الجريمة والعفونة.

ولاحظ فريد نظرات الرجل والمرأة بعضهما لبعض فقال : بالطبع سوف تنتقلان جميعا من السكن في ذلك المكان وسيمنحكم والدي مسكناً فاخراً .. أما أنا فسأعيش مع ليلى في فيلا والدي .. وربما نشتري فيلا خاصة بنا .. وبالطبع تستطيعان زيارتنا في أي وقت تشاءان .. فما نملكه سيصير ملكاً لكما.

التمعت عينا الأب والأم ببريق الجشع .. كانت الفرصة ذهبية ولا يمكنهما تفويتها دون تحقيق أكبر قدر من المكاسب.

على الفور قال عباس : لن يكون من المناسب أن تتزوج ابنتي وأنا بلا عمل و ..

قاطعه فريد قائلاً : سوف تلتحق بالعمل عند والدي بمرتب كبير.

قالت حسنية : وأنا لن يمكنني العمل كخادمة بعد الآن، أليس كذلك ؟

أكد لها فريد كما لو كان شاباً ساذجاً قائلاً : أنت أيضا لن تكوني مضطرة للعمل .. فسيكون لكما مال كثير .. أكثر مما تتخيلان.

وأخرج من جيبه رزمة أوراق مالية ألقاها أمام الرجل والمرأة فانقضا عليها وكادا يتشابكان بالأيدي لولا نظرة مهددة من عباس لزوجته، ارتعدت لها المرأة وأقنعتها بتأجيل اقتسام النقود. ودس عباس النقود في جيبه بطريقة لص وهو يحاول التحكم في انفعالاته قائلاً : بالطبع هذه النقود جزء من مهر ابنتنا .. وعلى ذلك فسنقبلها منك.

فريد : ليست هذه النقود غير قطرة من المطر الذي سينهمر عليكما بمصاهرتي لكما، وأرجو أن تتمكن ليلى من اجتياز امتحان هذا العام لكي يتم زواجنا بعدها.

لوّح عباس بيده قائلا في استنكار : وما فائدة امتحاناتها

وشهاداتها .. لقد كنا نريد إخراجها من المدرسة لولا إصرارها على التعليم .. أما وقد جاءها عريس مثلك، فليس لها حاجة للتعليم.

حسنية : نعم .. ويمكننا أن نزوجها لك ولو في الغد.

كان فريد مستعداً للرد على ذلك الاقتراح، فقاطع المرأة قائلاً : لا .. أنا لست متعجلا على الزواج .. وحتى الخطوبة ستتأخر قليلاً إلى أن تنتهي ليلى من امتحانات الثانوية العامة .. فأنا أيضاً بحاجة إلى بعض الوقت لإقناع أبي بخطبتي لليلى.

ضاقت عينا عباس وقال : أتعني أن والدك غير موافق على خطبتك لابنتنا ؟.

فريد : إنه لم يعلم بالأمر بعد .. وأنت رجل مجرب ولا شك تعرف أن رجلاً كأبي يرغب في تزويجي من إبنة شخص في مثل مركزه الاجتماعي وثرائه .. ولذلك فأنا في حاجة إلى بعض الوقت لإقناعه بما أريد .. فأنا ابنه الوحيد ولا بد أنه سيوافق في النهاية على زواجي بمن أحببت.

أكد عباس قائلاً : نعم .. المهم هو الحب. ورفع هامته مردفاً: كما أننا عائلة محترمة جداً.. وسيتشرف أي إنسان بمصاهرتنا !.

أجاب فريد بلهجة ساخرة: هذا صحيح تماماً.. وإلا ما جئت طالباً يد إبنتكم المصون.

وأخرج من جيبه الخاتم الماسي، وكان نفس الخاتم الذي رفضته ليلى وصفعته بسببه، وأظهره للأب قائلاً : هذا هو خاتم خطيبتي المؤقت لليلى.

التمعت عينا عباس بجشع هائل، واختطف الخاتم وتفحصه بعين لص خبير وقال : إنه من الماس الحر ويساوي ثروة .. ليس أقل من خمسة آلاف جنيه.

فريد : هذا هو ثمنه بالضبط .. وأرجو أن يعجب ليلى.

عباس : سيعجبها بالطبع .. فنحن ما كنا نرضى خاتماً لخطوبة ابنتنا أقل من هذا الخاتم الماسي ! ودسه في جيبه وهو يقول : سأحتفظ به معي فقد تفقده ليلى إذا وضعته في أصبعها.

حدقت حسنية في زوجها بحدة .. ثم التفتت إلى فريد

بابتسامة زائفة وهي تقول له : تستطيع أن تعتبر نفسك خطيب ابنتنا منذ هذه اللحظة.

فريد : هذا ما كنت آؤمل فيه .. ولكني أرغب في معرفة رأي ليلى أولاً.

صرخ عباس زاعقاً: وهل للفتيات أي رأي في مثل هذه الأمور .. أم هل هي ستجد شخصاً أفضل منك .. إنها ستطير من الفرحة إذا علمت برغبتك في الاقتران بها .. وخاصة إذا شاهدتِ خاتم خطبتها الثمين وعرفت أنك ستسكنها في فيلا فاخرة.

وانفتح باب حجرة ليلى فجأة .. وظهرت في مدخل الحجرة بجلباب منزلي قديم، وقد عقصت شعرها الذهبي وامتلأت عيناها بالدموع. كانت قد سمعت كل ما دار من حديث وهي في حجرتها .. ولم تستطع كتمان دموعها أكثر من ذلك.

هتف عباس متهللاً : ها قد جاءت العروس تُعلن موافقتها.

ارتعدت شفتا ليلى وقالت باكية لأبويها : لم أكن أظن

أنكما ستبيعانني لأول مشترٍ قادر على دفع الثمن.

انفجر عباس غاضبا وهو يقول : أيتها الغبية .. لقد جاء فريد بك ليتزوجك لا ليشتريك .. إنه قادر على الزواج بمن هي أفضل منك ألف مرة .. ولكنه أحبك أنت وهذا لحُسن حظك وحظنا.

قالت ليلى وهي تجاهد لتكبت دموعها : كان عليكما أن تسألاني عن رأيي أولاً.

صرخت أمها فيها : هل جننت لتجرئي على الرفض ؟.

تقدم فريد من ليلى .. توقف أمامها وحدّق فيها مقطبا وقال : ما العيب فيّ لترفضيني ؟.

رمقته في مرارة دون أن تردد .. التفت فريد متجها لعباس وحسنية قائلا : هل يمكنكما تركنا لحظات قليلة نتفاهم فيها ؟.

عباس : أنتما خطيبان منذ هذه اللحظة .. ولن نضيّق عليكما.

وغادر الحجرة مع زوجته. وعاد فريد يكرر في غضب مكبوت : سألتك ما هو العيب فيّ ؟

أجابته ليلى : ليس من حقي أن أُبدي رأيي فيك .. ولكني أسألك لماذا تفعل ذلك بي وماذا تريد مني ؟.

أجابها هازئا : كنت أظن أنك ستسعدين لأنني جئت طالبا يدك.

ــ قالت في توكيد: أنت جئت لعرض آخر مختلف تماما .. شخص مثلك لا يمكن أن يفكر بالاقتران بفتاة مثلي أبدا.

قال محتدا : لماذا تظنين ذلك ؟.

ــ إنك تحاول الانتقام لهزيمتك .. تحاول رد صفعتي بطريقتك الخاصة .. ولكن صدقني كنت مضطرة أن أفعل ذلك أمام نظرات زميلاتي .. سامحني إذا كان ما حدث قد تسبب في إيلامك ولا تحاول تدمير حياتي في المقابل .. أنت تستطيع شراء والدي ووالدتي بالمال .. ولكن مال العالم كله لن يجعلك قادرا على شرائي.

تقلصت أصابع فريد في غضب وهو يقول : لقد جئت طالبا يدك لأنني أحبك وليس لأي سبب آخر.

أجابته في ثقة وتوكيد : مثلك لا يمكن أن يُحب أبداً.

غمغم في غيظ : تبدين واثقة من رأيك فكيف عرفت ؟.

قالت في حزن وهي تتطلع إليه وتجول في ملامحه: عيناك تقولان ذلك.. ففيهما نظرة الذئب الذي جاء لاصطياد فريسة ضعيفة لا حول لها ولا قوة .. وقد جئت تعرض نفس الثمن .. نفس الخاتم الماسي لأن لك نفس الغرض .. فكيف لا أعرف ؟

ارتجف فريد .. لم يكن يظن أن مشاعره يمكن أن تكون مكشوفة إلى ذلك الحد .. وأن تلك الفتاة الصغيرة الواقفة أمامه لها من الفراسة والشفافية ما يجعلها تقرأ حتى أفكاره.

جز على أسنانه وهو يقول : أنت مخطئة. وحاول أن يمنع عينيه من البوح بالحقيقة فأدار وجهه عنها وقال لها هامسا في ثقة : صدقيني لقد جئت طالباً يدك لأنني أحببتك .. هذه هي الحقيقة الوحيدة .. فلا تظني بي السوء .. إنني لست ذئباً كما تتصورين .. وسأمنحك من المال ما تشائين وسأحقق لك كل أحلامك حتى ما لم تحلمي به أبداً.

أخفت وجهها بين كفيها وقالت باكية : لست أريد شيئا سوى أن تتركني لحياتي التي أعيشها .. يكفي ما أنا فيه من شقاء وآلام، وأنا أحارب حتى أبي وأمي لإكمال تعليمي .. وهما يريدان مني أن أعمل ولو خادمة أو حتى لصة لآتي لهما بالمال .. ولولا أنني أعمل بالفعل في مصنع بالمساء وأنفق على دراستي لما سمحا لي باستكمالها أبداً .. إنني لا أكاد أجد وقتاً للنوم أو حتى للمذاكرة وحياتي مليئة بأسباب التعاسة والحزن .. إنني أحتال على والديّ من أجل أن يسمحا لي بالمذاكرة والاستمرار في الدراسة، وأعاني في كل لحظة أعيشها .. فدعني لحياتي ولا تزدها شقاء .. أرجوك .. إنني فتاة فقيرة ضعيفة وليس من العدل أن تحاربني بكل ما تملك من قوة ومال .. أرجوك اذهب ولا تعد مرة أخرى.

فجأة انفتح باب الحجرة، واندفع عباس وحسنية نحو ليلى مثل الوحوش الضارية، وصرخت حسنية في ابنتها : أيتها الوقحة السيئة التربية.. كيف تطردين خطيبك ؟

وأمسكها عباس من شعرها في عنف زاعقا : سوف

أؤدبك حتى تعودي إلى رشدك أيتها البائسة.

وانهال على ليلى صفعا ..

كان من الواضح أن الأب والأم كانا يتنصتان على الحديث الدائر، وأنهما سمعا كل ما قيل، وهرعا لتأديب ابنتهما لتغير قرارها.

وتجمد فريد مكانه .. لم يكن يظن أن ذلك الأب والأم يمكن أن يكونا بمثل تلك القسوة. ووقف كالمشلول يراقب عباس وهو يصفع ابنته في عنف بالغ والأم تجذبها من شعرها .. وليلى قد وقفت بينهما لا ترفع يداً لتدافع عن نفسها ودموعها تُغرق عينيها .. وهي تنظر إليه نظرة مليئة بالآلام والأحزان.

ولم يحتمل فريد قسوة المنظر فصرخ في الاثنين : كفا .. اتركاها .. سوف تقتلانها.

صاحت حسنية : سأعرف كيف أؤدبها.

وجذبت إبنتها إلى داخل حجرتها في عنف بالغ .. والتفت عباس لاهثا إلى فريد وهو يقول : سوف تتزوجك سواء بإرادتها أو رغما عنها فثق من ذلك.

لم يرد فريد بشيء .. وانسحب صامتا يغادر المكان وهو يشعر أنه سوف يختنق.. كان غضبه كبيراً لا حد له .. وعاوده الشعور بأن شخصا قد صفعه على وجهه مرة أخرى !.

« المال لا يشتريني »

بقي فريد مسهدا أرقا طوال الليل ..

لم يكن يتصور أن الامر سيصل إلى ذلك الحد .. وأن تلك الفتاة الصغيرة الفقيرة سترفض ماله وإغراءاته .. وأنها ستكشف أهدافه بتلك البساطة .. فترفض أن تكون شيئا يباع له ولو كان الثمن أنهاراً من المال أو الهدايا .. وذلك برغم قذارة المكان الذي تعيش فيه وقسوة الحياة التي تتنفسها .. حتى أنها إذا لم تعمل وتواصل ليلها بنهارها، ربما لم تجد حتى ثمن طعامها.

هذه النتيجة لم يتخيلها أبداً.. ولا تخيَّل أن هذا العالم يمكن أن يحتوي على ذلك القدر من القسوة المتمثلة في عباس وحسنية .. لقد كانا على استعداد لقتل ابنتهما لتوافق على عرض الزواج .. يقتلانها من أجل المال المنتظر !

عاش هو حياته في العز والثروة.. إشاراته أوامر ورغبته لا ترد .. ووالده يحقق له كل ما يتمناه .. فعاش لاهياً عابثاً .. إلى أن صدمه ذلك الجانب الآخر من العالم .. عالم الفقراء والبائسين.

ولكن تلك الصورة تلاشت كلها .. فليس من شأنه إصلاح أحوال العالم أو تبديل حياة البائسين والفقراء .. فليحى كل فريق الحياة التي كُتبت عليه.

وفي الصباح أحس بشيء من التبلد يصيب تصرفاته .. وغاب عنه ما أحسه من مشاعر شفقة بالأمس.

وزاره صديقه إيهاب في المساء .. ولاحظ تجهمه وصمته فسأله عما به، فغمغم فريد قائلا : لا شيء.

ومرت لحظة صمت ثم تساءل إيهاب في توتر : هل ذهبت إلى ليلى بالأمس ؟.

التفت اليه فريد في حدة متسائلا : لماذا تسأل ؟

أجابه إيهاب مقطّباً : لقد جاءت حسنية هذا الصباح وطلبت بقية حسابها، وقالت أنها لن تعمل خادمة بعد الآن لأن شابا ثريا قرر الزواج من ابنتهما.

قال فريد ساخرا : إذن فأنت تعرف كل الأخبار .. فلماذا جئت تسأل ؟.

تساءل إيهاب في لهجة حادة : ألا زلت عند غرضك .. ألن توقف هذه المهزلة ؟.

رفع فريد يديه لأعلى ساخراً وهو يقول : ليس بأيدينا أن نفعل شيئا لأنفسنا يا عزيزي .. إنه القدر الذي يختار لكل منا طريقه .. وقد اختار لي أن أكون ثريا من عائلة محترمة ولتلك الفتاة أن تكون فقيرة معدمة من عائلة وضيعة .. واختار أيضاً لنا الصدام معا .. ولا أدري ماذا ستكون نتيجة هذا الصدام .. فالجواب عند القدر لا عندي.

نهض إيهاب غاضباً صامتاً يغادر المكان فلم يحاول فريد استبقاءه.

وعند الباب توقف إيهاب بوجه متقطب غاضب، وقال لصديقه : أرجو أن تقدّر الظروف التي تدفعني بعد كل سنوات صداقتنا السابقة .. لأن أُنهي هذه الصداقة ما دمت تصر على الاستمرار في تلك المهزلة.

وغادر إيهاب المكان .. ولكن الكلمات الأخيرة لم

تؤثر في فريد وبقي صامتا مبتسما في سخرية .. يمكنه أن يكون له ألف صديق لو شاء .. تجذبهم إليه أموال أبيه والفوائد التي يجنونها من مصاحبته .. فليذهب ايهاب وكل من يعترض على تصرفاته إلى الجحيم.

وعاد إحساسه بالتبلد يطوّقه .. وطافت صورة ليلى بعينيه .. جميلة فاتنة رائعة الحُسن .. حتى لو كان هذا الحُسن غارقاً في الدموع والأحزان.

لقد قرر الحصول عليها مهما كان الثمن .. وهو لن يتوانى في سبيل ذلك. في الصباح التالي كان عباس ينتظر أمام سور الفيلا في حذر لص عريق .. واقترب محيياً فريد وهو يقول : انتظرناك بالأمس يا فريد بك .. فلماذا لم تأتِ ؟

ابتسم فريد في خبث .. ها هي الفريسة جاءت تلقي بنفسها في الشباك دون جهد من صائدها. وكان عليه استغلال الموقف، فتصنع التجهم وهو يقول : هل تريدني أن أذهب فأُواجه بالرفض والسخرية من ابنتكما مرة أخرى ؟.

هتف عباس : لا يا فريد بك .. لا أحد يرضى بذلك بالطبع .. إنني اعترف بخطأ ابنتي فهي فتاة صغيرة طائشة .. وقد تمكنت من إقناعها أنا ووالدتها بأن توافق على الزواج منك.

ابتسم فريد ساخراً .. لم يكن هناك شك في طريقة الإقناع التي يقصدها عباس، وتساءل بعد لحظة متخابثاً وهو يدير محرك سيارته : وهل اقتنعت ليلى بوجهة نظركما حقا ؟

أجابه عباس في صوت خشن : طبعا .. وتستطيع زيارتنا بنفسك لترى.

ـــ حسنا سآتي في المساء للزيارة.

رفع عباس يده بالتحية قائلاً : سننتظرك .. ولا تنسى إحضار الهدايا.

وانطلق فريد بسيارته .. لقد نجحت الخطة تماما .. وستسقط الثمرة بين يديه في القريب العاجل.

وفي المساء حمل الكثير من الهدايا .. أكثر من هدايا الأمس.

وكان عباس وحسنية في انتظاره مرحبَّيْن مهللَيْن وقد ارتديا ملابس جديدة بدا واضحا أن مصدرها هو المال الذي منحه فريد لهما .. وحملا هداياه الكثيرة في سعادة بالغة.

واستقر فريد على المقعد المنزوع الأحشاء .. وقالت حسنية في لهفة : ستأتي ليلى حالاً.

واتجهت إلى حجرة ابنتها .. وبعد لحظات ظهرت ليلى تسير منكسة الرأس لا تبين مشاعرها .. ووجهها قد صبغته ألوان التجميل الصارخة فبدت ملامحها منفرة غريبة.

اندهش فريد وقطّب حاجبيه .. وجلست ليلى بجواره صامتة منكسة الوجه عيناها مسحوقتان لا تعبير فيهما.

اختفى الأب والأم في حجرتهما .. وبقي فريد لحظات يتأمل ليلى ثم قال لها في غيظ مكبوت : ما الذي فعلته بنفسك .. إنك تبدين كالبلياتشو بتلك الأصباغ فوق وجهك.

رفعت عيناها إليه .. لم تسقط منهما دموع .. ولكن المقلتين برغم ذلك كانتا تسبحان في بحرٍ من الدموع

التي لا تسقط أبداً .. قالت في ألم : لم أعتد أن أضع على وجهي أي مساحيق تجميل .. ولكن أمي أجبرتني على ذلك.

ــ إذن اذهبي واغسلي وجهك .. فأنت أجمل بدون مساحيق.

أجابته في مرارة أشد : لو فعلت ذلك فلن تحتمل رؤية وجهي بسبب الكدمات التي تملؤه.

دنا إليها في صمت .. كانت الإجابة مفاجأة .. وأدرك فريد أن إقناع ليلى بالجلوس معه قد كلفها كثيراً من الآلام.

شحب وجهه وقد شعر بأن انتصاره تحول إلى هزيمة وقال وهو يكبت غيظاً شديداً : لهذه الدرجة لا تطيقين رؤيتي أو الجلوس بجواري ؟

قالت في مرارة : أنت خطيبي .. ولك عليَّ حقوق مهما كان رأيي في الارتباط بك.

تطلع إلى أصابعها وتجاهل رأيها الصريح وقال : لا أرى في أصبعك خاتم خطوبتنا.

أجابته دون مشاعر : احتفظ به والدي لنفسه.

لمعت في عيني فريد نظرة خبيثة .. وأخرج من جيبه علبة قطيفة فتحها فتألق فيها وميض سوار ذهبي مرصع بحبات صغيرة من الماس، مده إلى ليلى قائلاً : توقعت ما فعله أبوك .. فأتيتك بهدية أخرى أثمن.

لم تحّول ليلى عينيها تجاه السوار المتألق وقالت : لم أطلب منك شيئا.

ــ ولكنها هديتي لك ولا يمكنك رفضها .. إنك لو علمت ثمنها ما رفضتها أبداً.

كررت في هدوء : لا أرغب في أي هدايا .. مهما كان ثمنها.

لم يستطع كبت غضبه وقال بصوت يفور : لماذا ترفضينني بتلك الصورة ؟.

قالت بنفس الوجه المنكس : هأنذا قد صرت خطيبتك كما شئت : ماذا تريد مني أكثر من ذلك ؟.

صاح فيها ثائراً : أريدك أنت .. أريد رغبتك الحقيقية وليس رغبة والديك.

أجابته في هدوء : أخبرتك من قبل أنك تستطيع شراء إرادة أبي وأمي بمالك .. أما أنا فلا .. المال لا يمكنه شرائي أبدا.

واجهها في غضب وحدة: وما عيب المال في رأيك ؟

رفعت وجهها باكية .. واجهته ودموعها تغرقها قائلة : العيب ليس في المال .. ولكن العيب في بعض الأشخاص الذين يظنون أن المال يعطيهم الحق في كل شيء .. حتى في التحكم بمصائر الآخرين .. ووطء كرامتهم وتلويث شرفهم .. هؤلاء ليسوا جديرين بغير الاحتقار.

شحب وجه فريد بشدة .. رمق ليلى في غضب .. كانت تبدو غير قابلة للهزيمة أبداً، وقادرة على جرحه بكلماتها دون أن تُسيل دماءه.

وتساءل في دهشة وغضب: من أين لها تلك الحكمة والخبرة بالحياة، وهي التي لا تزال أقرب إلى طفلة مراهقة بالكاد تقترب من أعتاب الحياة الحقيقية ؟

ومن أين تستمد تلك القوة الهائلة الكامنة في أعماقها، والتي تدفعها للمقاومة برغم كل الآلام. ولكن. كان عليه ألا يتوقع نتيجة سريعة. ها هي تجلس بجواره خطيبة له حتى لو كان ذلك ضد إرادتها .. وذلك المال الذي تحتقره قد أجبرها بالفعل على أن تفعل ما لا ترغب رغما عنها.

قال متبسطا : أنت في حاجة إلى بعض الوقت لتعتادي عليّ وتحبيني .. هذه هي المشكلة .. مزيداً من الوقت .. وسأنتظر فلست متعجلاً.

وامتدت أصابعه لتمسك بيدها .. ولكن ليلى قفزت من جواره كأنما لدغتها عقرب وقد شحب وجهها بشدة وتصاعدت أنفاسها حادة سريعة .. ورمقته بنظرات مشتعلة وهي تكتم ثورتها بداخلها .. وكتم فريد غيظه مستائلاً : ماذا جرى لك ؟

قالت وهي تحاول التحكم في مشاعرها : سأذهب لمذاكرة دروسي .. الامتحانات على الأبواب.

انفجر فيها غاضبا بثورة : اللعنة على دروسك .. كل هذه الهدايا التي أتيت بها لك ولوالديك .. ثم تتركينني

لتذاكري دروسك .. وهل ستأتي لك شهادتك ودروسك بجزء مما أتيتك به أيتها الحمقاء الغبية، أم هل تظنين أن المستقبل سيأتي لك بزوج أفضل مني ؟.

انفتح باب حجرة عباس في عنف .. اندفع منه وخلفه حسنية كالمرة السابقة وعيونهما تقدح بالشرر، ولم يحاول فريد منعهما هذه المرة. تحول قلبه إلى حجر من الصلد والضربات والركلات تنهال على ليلى التي بدت كطير مذبوح بين والديها لا تقوى حتى على صد لطماتهما.

وبضربة قوية من عباس ترنحت ليلى للوراء واصطدم رأسها بالحائط، وجذبتها أمها من شعرها بقسوة بالغة وهي تصرخ فيها : سوف أقتلك لو اضطرني الأمر حتى تتعقلي مع خطيبك.

واندفع عباس إلى حجرة ليلى، وأتى سريعا حاملا كتبها كراريسها، وراح يمزقها في ثورة صارخاً : هذه هي كتبك أمزقها .. فلن تذهبي إلى المدرسة بعد الآن.

صرخت ليلى في فزع .. اندفعت نحو كتبها وكراريسها محاولة إنقاذها .. لم ترفع يدا لتدافع عن نفسها، ولكنها

اندفعت في عنف محاولة إنقاذ كتبها .. كأنه فيها حياتها. ودفعها عباس في قسوة وعنف فاصطدم رأس ليلى بالحائط .. ثم تهاوت على الأرض دون حراك وقد شج رأسها وانفجرت منه الدماء.

« وانتهى الصراع »

ألقى الطبيب نظرة متفحصة إلى صور الأشعة والرسوم الطبية، ثم التفت مقطباً إلى فريد قائلاً : إنها مصابة بارتجاج في المخ تسبب في نزيف حاد تمكنّا من إيقافه في الوقت المناسب .. هذا بخلاف إصابتها السطحية في رأسها .. ولو تأخرتم لحظة واحدة في نقلها إلى المستشفى فمن يدري ماذا كان يمكن أن يحدث لها.

تبادل عباس وحسنية نظرة قلق، وقال عباس : لقد زلّت قدم ابنتنا فارتطمت رأسها بالأرض عند سقوطها .. هذا هو كل ما حدث.

أحس فريد ببركان متفجر بداخله من مشاعر الندم والألم .. ومارس قدراً هائلاً من ضبط النفس لكي لا تنفجر دموعه، وهو يتذكر مشهد هذين الأبوين القاسيين وقد انهالا

على ابنتهما ضربا وركلا وهي راقدة على الأرض في غيبوبة ودماؤها تسيل منها، ولولا أن سارع بإنقاذها منهما ونقلها إلى المستشفى لماتت بين أيديهما. ولكن .. هل كان هو أقل قسوة على تلك المسكينة التي لا سند لها في هذه الحياة ولا حتى والديها ؟

واصل الطبيب قائلاً : أعتقد أن غيبوبتها ستستمر لبعض الوقت ولذلك سنضطر لتركها في غرفة العناية المركزة إلى أن تفيق .. فإذا تمكنت من اجتياز هذه الفترة الحرجة فستعيش بإذن الله بشرط أن تكون لها إرادة صلبة للحياة وعبور هذه المحنة.

غمغم عباس في أسى مصطنع قائلاً: يا لإبنتنا المسكينة.

وامتلأت عينا حسنية بدموع كاذبة وهي تولول قائلة : آه يا ابنتي الغالية .. لقد كنا نستعد لزفافها .. إنني سأبقى بجوارها أرعاها إلى أن تستعيد وعيها.

ولكن فريد صاح رغماً عنه في المرأة المتصابية : لا .. إنك لن تبقي بجوارها أبداً.

رمقته حسنية في دهشة .. وتمالك فريد نفسه أمام

العيون المصوبة إليه في تساؤل .. فقال في اضطراب : إنني أعني أن ليلى بحاجة إلى عناية خاصة وممرضة متخصصة تقيم معها ليل نهار.

الطبيب : سوف يتكلف ذلك كثيراً من المال.

فريد : حتى لو تكلف عشرات الألوف .. فأنا متكفل بكل المصاريف.

وألقى على حسنية نظرة متجهمة، كأنه يراقب ذئبة متوحشة على استعداد لالتهام أطفالها في أي لحظة. أومأ الطبيب موافقاً وقال : هذا حسن .. يمكنكم الذهاب الآن.

تساءل فريد في ألم : الا يمكنني إلقاء نظرة أخيرة على ليلى ؟.

هز الطبيب رأسه نافياً وهو يقول : للأسف لا .. هذا ممنوع بالنسبة لمن هم في حجرة العناية المركزة.

نهض فريد .. غادر المكان دون أن يحيّي عباس وحسنية. كان يشعر أن كل جزء فيه محطم مبعثر .. يشعر أن ما حدث كان أشبه بقنبلة انفجرت فيه فبعثرته

إلى آلاف القطع .. لم يكن يظن أن في داخله إنساناً بمثل ذلك الشر.

كان المال وأصدقاؤه يؤدونه بأنه على صواب دائماً.. حتى عندما رسب في الثانوية العامة ثلاث سنوات متتالية، ولولا الغش والدروس الخصوصية المكثفة ما نجح أبدا .. فلم يكن يهمه التعليم أبدا ولا يعتبر شهادته الجامعية شيئا ذا أهمية أمام المال. وعلى النقيض منه كانت هناك فتاة تقاتل لأجل الحصول على شهادة تصونها من أمثاله .. من أمثال أولئك الذين لا عمل لهم في الحياة سوى إنفاق المال في سفه وشراء مصائر الآخرين بمالهم.

اكتشف أن هناك ما هو أهم من المال في هذه الحياة .. واكتشف أيضا كم كان نذلاً بلا أخلاق ولا ضمير وهو يصارع فتاة مسكينة فقيرة وحيدة .. لا سلاح لها غير كرامتها وعفتها .. وها هي في نهاية الصراع ترقد بين الحياة والموت بسببه.

وشعر بالدموع تغرق وجنتيه. لأول مرة في حياته يبكي .. لم يعرف طعم الدموع أبداً من قبل .. حتى يوم ماتت

أمه منذ سنوات لم يبك.. جعله والده يعتاد على عدم البكاء .. كان يقول أن البكاء ضعف لا يليق بأمثالهم.

كان بداخله ندم هائل على كل ما جرى .. وتمنى للحظة لو أنه كان هو الراقد بين الحياة والموت، جزاء له على كل ما ارتكبه من شرور وأخطاء من قبل.

هو الذي يستحق العقاب .. لا تلك المسكينة البريئة الطاهرة التي أراد تلويثها، فدافعت عن نفسها حتى حافة الموت.

ترك لدموعه العنان وهو يقود سيارته عائداً إلى بيته.. لم يكن يدري أن مشاعر الندم التي لم يجربها من قبل، حادة مؤلمة إلى ذلك القدر .. وأن قلبه يمكن أن تشقه آهات الندم بتلك الصورة، وهو الذي ظن أن لا قلب له.

إن مال ابيه كله لم يكن قادراً على شراء مشاعر فتاة فقيرة يعوزها أقل الضروريات .. ولم يكن عاصماً له من الحزن والألم .. وقد كان يظن أن كل هذا المال قادر على شراء أي شيء في هذا العالم.

الآن فقط يدرك ضعف هذا المال .. ويدرك كم تفاهته هو .. وسوء ما تعلمه من والده عن قوة المال وجبروته.

لقد أطلق له والده الحرية في التصرف بماله كيفما شاء.. والآن فقط يدرك كيف صنع منه المال فتى أحمق مغروراً لا ميزة له على الإطلاق. لقد صار يعرف قدر نفسه تماما في تلك اللحظة. ليس أقسى على الإنسان، من أن يشعر بالاحتقار لنفسه.

وهرع إلى حجرته وأغلقها على نفسه.

ترك نفسه للبكاء الحاد كأنه يتطهر بدموعه من آثامه السابقة.

ولم يغمض له جفن تلك الليلة .. وبقي مسهدا يراقب السماء المظلمة في صمت .. كأنها لوحة سريالية تجسد حياته السابقة.

وعندما أشرق الفجر وبدد ظلمة السماء .. أحس فريد أنه يولد من جديد.

وأحس بشيء آخر يسري متدفقا في دمائه كأنه الحياة ذاتها.

لقد أحب تلك الفتاة الفقيرة الوحيدة المسكينة .. أحبها وهي على فراش الموت .. يتربص بها قدر مجهول قد يطوي صفحة حياتها في أية لحظة، فيتركه لآلام الندم بقية عمره.

« رحيل »

فتحت ليلى عينيها في مشقة وألم .. عندما وعت ما حولها تماماً أدهشتها تلك الأنابيب الدقيقة المغروزة في ذراعيها تحمل إليها محاليل مركزة للغذاء .. وأخرى تنقل أقل اضطراب في مخها وجسدها إلى أجهزة دقيقة تنبض شاشاتها بخطوط مبهمة .. وفتاة في ملابس الممرضات قد جلست تراقب الأجهزة بدقة.

كانت تحس بآلام رهيبة في رأسها .. وتشعر أنها لا تزال تسقط في دوامة لا قرار لها. وجاءها صوت من جهة الباب يقول : الحمد لله .. لقد أفقت أخيراً يا ابنتي بعد أسبوع من فقدان الوعي.

كان الصوت لرجل في حلة بيضاء .. ابتسامة تضيء

وجهه كملاك رحمة .. خمنّت ليلى أنه طبيب وأن سعادته باستعادة وعيها كانت ناتجة من إحساس عميق بقلة فرصة النجاة التي كانت متاحة لها.

جاهدت لتستوعب ما قاله .. كلمات مختلطة متداخلة عن الجهد الذي بذل لإبقائها على قيد الحياة، وعن المستشفى الحديث الذي نُقلت إليه على وجه السرعة لإنقاذ حياتها بفضل أجهزته وآلاته الحديثة جداً .. وعن خطيبها الذي أنفق الألوف على علاجها تلك اللحظة.

عضت ليلى على شفتيها بقسوة عندما عاودتها ذكرى ما حدث .. وهاجمتها آلام لا تطاق .. ورويداً رويداً أحست ليلى بوعيها يغيب عنها مرة أخرى فيرحمها من آلامها.

عندما أفاقت مرة أخرى كانت راقدة في حجرة هادئة، وقد اختفت كل الأنابيب الدقيقة والإبر المغروزة في جسدها..

وتنبهت للهياكل الثلاثة الواقفة إلى يسارها .. على الفور ميَّزتهم .. كانوا والدها ووالدتها .. وفريد.

ولكن شخصاً وحيداً هو الذي شهق بالفرحة عندما

استعادت وعيها، كان هو فريد الذي جثا على ركبتيه .. شاهدت الدموع في عينيه وهو يقول لها : حمداً لله على سلامتك .. أنت أشجع فتاة رأيتها في حياتي .. فإرادتك الصلبة ساعدتك على اجتياز تلك المحنة القاسية.

أشاحت ليلى بوجهها للناحية الأخرى .. ترقرقت الدموع في عينيها عندما تذكرت .. هل جاء هذا الإنسان القاسي القلب ليشمت فيها برغم كل ما حدث، ويذرف دموع التماسيح متظاهراً بالحزن لما حدث ؟

واصل فريد في صوت ينبض بالمرارة قائلاً : أعرف أنك صرت تكرهينني ولا تحتملين مجرد وجودي بقربك ولك الحق في ذلك .. لقد سببت لك من الأذى والشقاء ما لا طاقة لك به .. ولذلك أطلب منك أن تسامحيني.

عضت ليلى على شفتيها بقسوة .. وفكرت في أنه يستغل ضعفها ومرضها وربما يطالبها في لحظة قادمة بشيء ما مقابل للثمن الذي دفعه لإبقائها على قيد الحياة في تلك المستشفى بما دفعه من مال.

واصل فريد قائلاً : أعدك بأنني سأخرج من حياتك

إلى الأبد، فأنا أعرف أنه لا مكان لي فيها .. فأنت طاهرة بريئة لا تحتملين من كان مثلي بقربك .. ولذلك سأذهب ولن أعود .. ولكنني فقط بقيت بجوارك أنتظر لحظة إفاقتك لأطلب منك أن تسامحيني .. حتى لو لم تفعلي.

واتجه خارجا فلحق به عباس .. على حين مالت حسنية على ابنتها دون عاطفة وهي تغمغم : سلامتك يا ابنتي .. أنك لا تعرفين ما حدث لنا بسبب ما أصابك .. ولكننا كنا نبغي مصلحتك.

ولحق عباس بفريد في مدخل المستشفى، وصاح به في خشونة : أعرف أنك لا تعني ما قلته لليلى .. أنك بالطبع لن تتركها.

فرمقه فريد في صمت لحظة وهو يفكر، أي أب قاسٍ هذا الرجل، وواصل عباس قائلاً : سوف تتزوج ابنتي بك حالما تشفى .. أليس كذلك ؟

فكر فريد في أنه لو أخبر ذلك الرجل بأنه راحل إلى الأبد لربما أحال عباس حياة ابنته إلى شقاء ومزيد من

الآلام .. ولكان من المؤكد رسوبها ذلك العام وتهدم ما بقى من أحلامها.

ولم يكن هناك غير سبيل وحيد لضمان تصرف ذلك الرجل فقال له فريد : ما أخبرت به ليلى عن غيابي من حياتها هو مجرد كلمات بالطبع حتى تسامحني وتشفى سريعا فيمكننا أكمال ما بدأناه.

تنهد عباس في ارتياح قائلا : هذا حسن.

واصل فريد قائلا : ولكن ليلى سترفض زواجي منها بعد خروجها من المستشفى، فالأمر في حاجة إلى بعض الوقت لتنسى ما سببته لها من أذى .. وأنا أرى أننا نستطيع الزواج بعد انتهائها من امتحانات الثانوية العامة.

غمغم عباس قائلا : هذا رأي سديد.

فريد : ولكن لي شرط واحد.

تساءل عباس في ارتياب : ما هو ؟

فريد : أن تنجح ليلى وتحصل على مجموع كبير يؤهلها لدخول كلية ممتازة .. فأنا أريد أن أفخر بأن زوجتي ستصير فتاة متعلمة ذات مكانة عالية.

غمغم عباس في قلق : ولكن ..

قاطعه فريد في حسم : لا أريد أن أسمع شيئا .. هذا هو رأيي النهائي.. إن لدى ليلى النية الخالصة للمذاكرة والحصول على مجموع عال .. وكل ما عليكما هو توفير الجو المناسب لها .. فإذا ما حاولت أنت أو زوجتك إيذاءها أو حتى مضايقتها بكلمة واحدة أو تعطيل مذاكرتها فلن يكون هناك زواج .. هل تفهم ذلك ؟

ضاقت عينا عباس في خبث وقال : ولكن الأمر أيضا في حاجة إلى دروس خصوصية ومال كثير لتهيئة الجو المناسب لها للمذاكرة في هدوء وتلبية كل طلباتها.

فريد : سوف أرسل إليها بكل المدرسين في المنزل وسيكونون جميعا رهن إشارتها لتعوّض ما فاتها من دروس.

وفي لهجة خاصة أضاف : أما أنت وحسنية فسأرسل لكما راتبا شهريا في بداية كل شهر ما دمتما تطيعان تعليماتي .. فما رأيك ؟

فرك عباس يديه سرورا وهو يقول : وهل يمكنني الرفض .. لقد اتفقنا .. والآن سأذهب لإلقاء نظرة على ابنتي الغالية.

ولوح بيده مكملاً لفريد: لا تنسَ أنك وعدتني بوظيفة محترمة عند والدك وكذلك سكن لائق بعد أن تتزوج ابنتي.

وابتعد متهللاً .. وبقي فريد مكانه وهو يشعر أن قلبه يُعتصر عصرا.

كان أقسى ما واجهه في حياته، تلك اللحظة وليلى تشيح عنه بوجهها في ازدراء وكراهية .. لا شك أنها باتت تكرهه أكثر من أي شيء في العالم .. ولا تعرف أنه قد بات يحبها أكثر من أي شيء آخر في العالم.

ولكن لم يكن من طريق .. غير أن يرحل من حياتها إلى الأبد.

« وحدة قاسية »

مرت الأيام بطيئة ثقيلة متشابهة على فريد.

الأيام الحزينة دقائقها طويلة وساعاتها مشحونة بالتعاسة .. وخاصة لمن كانوا يعيشون في وحدة قاسية .. ليس أقسى من الحياة دون صديق .. ودون أم .. أو حتى أب.

وليس أقسى من الحياة مع الحرمان ممن أحببنا .. وقد كان فريد يعيش حرمانا مضاعفا.

أرسل إلى ليلى بالمدرسين الخصوصيين ودفع لهم مقدما .. وجاء عباس يطلب الراتب الشهري ويطمئن فريد أنه يحسن معاملة ابنته ويوفر لها كل الوسائل للمذاكرة. وتأكد فريد من ذلك من المدرسين الخصوصيين فمنح عباس ما يريد دون نقاش. وكان أكثر ما أسعده هو أن ليلى تماثلت للشفاء بسرعة وعادت إلى دروسها وقد توفر لها الجو

الهادئ المريح .. وشعر فريد ببعض الرضا .. إنه يقدم لمحبوبته بعضاً من الراحة والهناء مقابل ما تسبب فيه من شقاء وتعاسة لها .. وهذا هو أقل قدر من العدل يمكن أن يحققه لها.

وتذكر في لحظة أنه بالسنة النهائية في كلية التجارة .. وأنه قد رسب في العام الماضي برغم كل تفانيه في وسائل الغش.

ثلاث سنوات نجح فيها بكل طرق الغش .. والعام الماضي فقط وفي السنة النهائية فشل .. ولكنه سيحاول هذا العام دون أن يلجأ للغش كعادته .. سينجح لأنه تحوّل إلى إنسان آخر ..

وبدأ المذاكرة على الفور يشغل بها وحدته وينسى فيها آلامه وأحزانه .. وجاءت الامتحانات سريعا .. فشغلت فريد، ثم انتهت سريعاً أيضا. وخلالها لم يتوانَ فريد لحظة عن السؤال عن أحوال ليلى ومذاكرتها ومعاملة أبيها وأمها لها.

وجاء عباس أكثر من مرة يطلب أموالاً بحجة أن ما

قبضه أول الشهر قد نفد منه .. ولم يرفض له فريد طلباً .. إنه يشعر أن الرجل يبتزه .. ولكن في سبيل نجاح ليلى كان على استعداد لأن يفعل أي شيء ويدفع أي ثمن مهما غلا، حتى دون أن تشعر هي بما يفعله من أجلها.

وجاء موعد امتحان الثانوية العامة .. وبدأت امتحاناتها فصار فريد يشعر بالقلق ويعاني من السهاد ..

يشعر بالخوف على ليلى ومصيرها .. يتمنى لو كان بجوارها يشجعها ويحثها على النجاح .. ولكن القدر حرمه حتى من مجرد إلقاء نظرة عليها فقبع مكانه حزينا.

وفي نهاية امتحان كل مادة كان يستفسر من أستاذها عما فعلته ليلى في الامتحان، فيجاوبه كل منهم بما يطمئنه .. وانتهت الامتحانات أخيراً.

وجاء عباس سريعا يفرك يديه سروراً وهو يقول لفريد : ها قد وفيت بوعدي لك .. لقد وفرت لليلى كل الظروف المناسبة لمذاكرتها .. والآن عليك بالوفاء بوعدك والزواج منها.

فأجابه فريد مراوغاً : وكيف لي أن أعرف أنك وفيت

وعدك حقا .. إنني لن أتأكد من ذلك إلا عند ظهور نتيجة ليلى .. فإن نجحت وحصلت على مجموع كبير كنت على حق وقد وفيت بوعدك حقا فأتزوج ابنتك فوراً.

تجهم وجه عباس وغمغم قائلاً : إنني أقسم لك أنني وفيت بوعدي لك .. ولكن لا بأس من الانتظار بضعة أسابيع أخرى .. وأنا في حاجة إلى المال و .. ولم يكمل عباس عبارته عندما لمح المال الذي أخرجه فريد من جيبه وناوله له، فاختطفه وهرول يغادر المكان مسرعاً في ابتهاج بالغ.

ومرة أخرى عاد فريد يشعر بالوحدة .. والخواء .. والألم .. إن الانسانة التي يحبها ويعشقها هناك .. قريبة منه .. ولكنها في ذات الوقت بعيدة عنه كل البعد .. يستحيل عليه أن يحظى منها حتى بنظرة رضا .. إنها هناك لا تزال تحتقره وتكرهه .. وربما يؤذيها سماع اسمه .. أو صوته. كان عليه أن يدفع ثمن ما فعله دون شكوى أو آهة ألم.

وعادت الأيام تمضي بطيئة متثاقلة ..

وحل أخيراً موعد ظهور نتيجة الثانوية العامة .. ولم ينم فريد ليلتها .. ظل قلقاً مسهداً تنتابه المخاوف والظنون .. إن تلك المشاعر المتوترة لم تنتابه أبداً عند ظهور نتيجة الثانوية العامة الخاصة به .. لقد كان في كل مرة يصحو متأخراً ويرسل من يأتي بها .. ولم يحزنه أبداً رسوبه أو يفرحه نجاحه.

ولكن تلك المرة كان الأمر يختلف كثيراً .. بالرغم من أن النتيجة لم تكن تخصه هو. وفي الصباح الباكر لم يستطع البقاء في المنزل .. واتجه إلى مدرسة ليلى كانت هناك أعداد غفيرة من الطالبات وأُسَرِهِنَّ في انتظار سماع النتيجة .. ووقف فريد وسط الجميع في لهفة حارقة.

وتتالى النداء على أسماء الفتيات وإعلان نتيجتهن .. واقترب اسم ليلى فدق قلب فريد كقرع الطبول.. وأخيراً سمع اسمها .. ونتيجتها .. ولم يصدق .. كانت ناجحة بمجموع يزيد عن التسعين في المائة. وصرخ في هيستريا .. راح يصرخ ويقفز في فرح جنوني .. إنه لم يفعل

ذلك عند نجاحه هو .. ولا أحس بجزء من الألف مما
يشعر به من سعادة في تلك اللحظة .. كانت سعادته
لا حد لها .. وانفلت فريد يخترق الجموع وعيناه مليئتان
بدموع السعادة .. يرغب في أن يحتفل بذلك النجاح ..
يشعر أنه نجاحه هو .. ولم يكد يخطو بضع خطوات
حتي توقف في مكانه مذهولاً من المفاجأة. كانت ليلى
واقفة أمامه .. تتطلع إليه في هدوء وصمت وتقطيب.

« مواجهة »

وقف فريد مسمراً في مكانه لا يقوى على الحركة .. وعيناه تتأملان ملامح ليلى الفاتنة وتجوسان في عينيها.

أحس بشلل في لسانه .. لا يقوى حتى على النطق .. كانت المفاجأة مذهلة في نفس الوقت .. ليالي طويلة حلم فيها بصورة محبوبته وتمنى رؤيتها .. وفي لحظة مباغتة تحقق الحلم.

اقتربت ليلى .. ارتسمت ابتسامة رقيقة ندية على وجهها .. مدت يداً تصافحه وهي تقول : كيف حالك يا فريد ؟

لم يصدق أنها ترحب به وتمد يدها لمصافحته .. تحركت أصابعه كأنه منّوم مغناطيسيا ليصافح اليد الممدودة إليه في رقة وبراءة. ودقات قلبه صار لها قرع الطبول وهو لا يدري ما يجول في عقل تلك الحبيبة البريئة.

غمغم في صوت هامس : مبروك النجاح .. ستدخلين كلية الطب إن شاء الله.

ومسح دمعة ترقرقت في عينيه رغما عنه .. تأملته ليلى في حزن وانكسار .. لأول مرة يلمح في عينيها مظاهر الشفقة .. قالت له : هل تبكي فرحاً لنجاحي ؟

قال في صدق : أشعر كأنه نجاحي أنا .. إنني لم أفرح لنجاحي مثل هذا الفرح .. كاد قلبي يتوقف عن النبض عندما نادوا اسمك وأعلنوا نتيجتك.

قالت هامسة : أنت انسان نبيل حقا.

قالتها ليلى ووجهها يشي بتقديرها له .. فقال متألما : أنا لا أستحق اطراءك أبداً .. لقد كنت كما وصفتني من قبل .. ذئب جاء يسعى لاصطياد فريسة بريئة مسكينة، فنصب لها فخا من المال .. ولكن كل مال الدنيا لا يمكنه اختراق حصون الشرفاء.

قالت في صفاء : دعنا ننسى الماضي فالأحداث دائماً قادرة على تغييرنا .. وأنا أدركت أنك تغيرت .. تغيرت كثيراً وقد عرفت أنا ذلك عندما جاء أولئك المدرسون

الخصوصيون لمساعدتي على النجاح بمجموع عال .. وأيضا عندما تغيرت معاملة والديَّ لي إلى النقيض فأدركت أنك السبب .. وأنك اعطيتهما أوامر مشددة ألا يضايقاني في مذاكرتي لكي أنجح بمجموع كبير وأن ذلك قد كلفك مالاً كثيراً .. وأنك فعلت ذلك لترضي ضميرك .. لما ألحقته بي من إساءة وآلام سابقة.

عض فريد على شفتيه في قسوة .. إنها لا تدري أنه لا يفعل ذلك إلا لأنه يحبها .. يحبها أكثر من حبه لنفسه وللعالم كله.

أحس أنه يترنح ويكاد يفقد وعيه .. غمغم لها معتذرا : إنني متعب وسأنصرف.

ولم ينتظر ردها وسار مبتعداً لا يكاد يرى أمامه.

وعندما خطا داخل الفيلا ألقى بنفسه فوق أقرب مقعد ودفن وجهه بين كتفيه ونار حارقة في صدره لا يدري السبيل إلى إطفائها.

وأحس بيد حانية تلمس كتفه، فرفع عينيه المبللتين بالدموع فشاهد إيهاب واقفا أمامه يرمقه في دهشة وإشفاق.

تعانق الصديقان كأنما لم يكن بينهما خصام .. وهتف إيهاب في سعادة : لقد نجحت يا فريد وحصلت على تقدير جيد جداً .. إنك من أوائل الناجحين فكيف حدث هذا .. إن نصف الطلبة مذهولون لما حدث .. وقد جئت بنفسي لأخبرك بنجاحك وأهنئك برغم دهشتي البالغة وخوفي من ألا تُحسن استقبالي لما جرى بيننا.

لم يرد فريد ولم تظهر عليه فرحة النجاح .. عاوده شروده الحزين، فسأله إيهاب في قلق : ماذا بك يا فريد .. أخبرني ؟

في صوت حزين هامس راح فريد يقص على صديقه كل الأحداث التي مرت به .. واستمع إليه إيهاب مدهوشاً حتى أنهى فريد قصته، فسأله في دهشة بالغة : أنت أحببت ليلى ؟

أجابه فريد وهو يهرب بعينيه بعيداً كملاح غاب عنه المرفأ الأمين : إنها جديرة بالحب .. فهي أروع وأطهر وأجمل فتاة قابلتها في حياتي .. يكفي أنها غيّرتني تماما

فلم أعد ذلك الشاب المغرور التافه الذي لا عمل له سوى إنفاق المال وايذاء الآخرين.

تساءل إيهاب في حيرة : وماذا تنوي أن تفعل الآن ؟

فريد : لا أدري .. إنني أشعر بأنني وسط دوامة لا قرار لها.

ــ ولكن الحل بسيط يا صديقي .. لماذا لم تصارح ليلى بحبك لها ؟.

ــ وهل كانت ستصدقني بعد كل ما حدث مني ؟.

ــ حسنا .. ربما كنت على حق .. ولكن هناك سبيل وحيد لتأكيد حبك لها، وهو أن تخبر والدك بالحقيقة وتذهبا معا لطلب يد ليلى .. إن هذا سيثبت لها جديتك هذه المرة .. وأعتقد أنها ستراك بعدها إنسانا جديرا بالاحترام والزواج.

شحب وجه فريد وغمغم : ولكن .. هل سيوافق والدي على الزواج ؟

ربت إيهاب على كتف زميله مهوناً وهو يقول : هذه

هي مهمتك أنت .. أن تقنعه بحبك لليلى وأنه لا يهمك من هما والداها ولا مستوى أسرتها الاجتماعي .. ويكفي أن حبك لها قد غيّرك بشكل رائع ليعرف أي فتاة ممتازة قد اخترت .. فالحب الطاهر هو الشيء الذي يغيرنا دائماً إلى الافضل.

تألقت عينا فريد وهتف : أنت على حق يا إيهاب ونعم الصديق .. سأذهب لأبي في عمله حالا فأنا لا أحتمل انتظار عودته.

واندفع إلى بوابة الفيلا متجاوزاً سيارته الحمراء الأنيقة، فهتف إيهاب به : ألن تأخذ سيارتك ؟

لوّح فريد بيديه قائلاً : لا .. إنني أكره كل ما يذكرني بشخصيتي السابقة.

فراقبه إيهاب حتى اختفى عن عينيه .. ثم ابتسم في ارتياح بالغ.

وكان الرشيدي مشغولاً باجتماعه مع عدد من موظفيه الكبار .. فاضطر فريد للانتظار في مكتب السكرتيرة .. وسمع صوت والده العالي من الداخل يهتف في غضب

حاد قائلاً : يجب أن نكسب هذه الصفقة مهما كان الثمن .. إنها صفقة العمر ومكسبها لا يقل عن عشرة ملايين جنيه.

فقال أحد الموظفين في تخاذل : ولكن إن خسرناها .. خسرنا كل شيء.

عرف فريد صاحب الصوت على الفور .. كان هو مدير أعمال والده المدعو غريب الدسوقي، وهو عجوز متصابٍ له نظرات ذئبية وزيجات لا حصر لها.

صاح الرشيدي في غضب يرد على غريب : أيها الغبي .. أنا لا أحب المتخاذلين .. إن الرشيدي عندما يقرر الفوز بصفقة فإنه يفوز بها حتى لو كان منافسه فيها هو « منتصر العيسوي » ذاته .. عدوي الأول .. لقد تسببت في أن أجعله يخسر الملايين من قبل .. وسيخسر الملايين هذه المرة أيضا.

تململ فريد في مقعده.. كان الحديث المفضل لوالده هو حديث الملايين الذي لا ينتهي منه أبداً.

وانفتح الباب بعد لحظات وظهر الرشيدي وهو يمسح عرقه، وما إن شاهد فريد حتى هتف مندهشاً : أنت هنا ؟

ولاحظ شرود ابنه فهتف به : يبدو أنك رسبت هذا العام أيضا .. ولكن لا تهتم .. حتى لو لم تحصل على هذه الشهادة اللعينة فلن يحزن أحد.

أجابه فريد بصوت مرتبك : بل إنني نجحت يا والدي .. وبتقدير جيد جداً.

حملق الرشيدي بدهشة في ابنه وردد : نجحت .. وبتقدير جيد جداً ؟

واحتضن فريد بقوة وسرور هاتفا : يا لها من مفاجأة رائعة .. وأين كنت تخفي هذا التفوق من قبل أيها الماكر .. حسنا .. إنك تستحق عن هذا النجاح هدية خاصة ثمينة.. ولقد حان الأوان كي تشعر بالمسؤولية معي في إدارة أموالي وشركاتي.

وقاد ابنه إلى مكتبه الفاخر .. ولاحظ توتره وصمته فهتف به : ماذا بك ؟

ارتبك فريد وجف لعابه .. وتمالك نفسه بعد لحظة ليقول : إن لي طلباً وحيداً أرجو أن تحققه لي يا والدي.

هتف الرشيدي : بل اطلب ما تشاء وسأحققه لك مهما كلفني من مال.

نكس فريد وجهه وقال : انني أرغب في الزواج.

انفجر الرشيدي ضاحكاً في صوت عال .. ظل يضحك ويضحك وفريد ينظر إليه بوجه شاحب .. وأخيراً تمالك الرشيدي نفسه وقال في سعادة : وهل هذا هو ما يخجلك إلى هذا الحد .. لقد كبرت حقا ويجب أن تتزوج .. دع لي اختيار العروس المناسبة لك و ..

قاطعه فريد بصوت اقرب إلى الهمس قائلاً : لقد اخترتها أنا يا أبي بالفعل.

تساءل الرشيدي متهللاً : ومن هي .. هل هي زميلة لك في الجامعة وابنة رجل أعمال أو مسؤول كبير ؟

أجاب فريد في ارتباك أشد : لا يا أبي .. إنها في سبيلها لدخول الجامعة وهي .. هي ابنة اسرة متواضعة.

غمغم الاب مستنكراً : اسرة متواضعة ؟

فريد : ان والدتها كانت تعمل كخادمة في فيلا صديقي إيهاب.

صرخ الرشيدي في جنون : ماذا تقول أيها التعس .. هل تريد أن تتزوج ابنة خادمة ؟

واجه فريد والده في شجاعة قائلا : ولكن الخادمة إنسانة مثلنا يا أبي.

صرخ الأب في ثورة : أخرس أيها الأحمق الغبي ..

كرر فريد في إصرار : ولكني أحبها يا أبي و ..

قاطعه الرشيدي بصوت حاد : قلت لك أخرس أيها التعس .. هل تريد أن تتزوج ابنة خادمة .. هل تريد أن يقول الناس أن ابن الرشيدي تزوج بابنة خادمة ؟

واجهه فريد قائلا : من منا يختار قدره .. كان يمكن أن أخرج أنا للحياة فأجد نفسي ابنا لخادم أو خادمة.

رنت صفعة قوية على وجه فريد .. كانت المرة الأولى التي يصفعه فيها والده .. وتواجه الاثنان .. قال الأب محذراً في صوت وحشي : إذا عدت إلى ترديد مثل تلك الأشياء قتلتك.

قال فريد في هدوء : سأتزوجها يا أبي لأني أحبها أكثر من ذاتي.

دفع الرشيدي ابنه في حدة قائلا : حسنا .. اذهب وتزوجها .. ولكن لا تعد لي مرة أخرى .. ولا تنتظر مني قرشاً واحداً وأنا حي أو حتى بعد موتي .. هذا إن تركتك أنا تعيش في سلام .. فإنني قادر على تحويل حياتك إلى جحيم ما دمت لا تطيعني .. واؤكد لك أنك لن تتزوج هذه الفتاة .. وستعود لي نادماً في النهاية.

استدار فريد يغادر المكان وآثار أصابع والده لا تزال منطبعة فوق خده.

كان يعرف أن المال هو كل حياة والده .. ولكن .. لم يظن أن المال لدى والده أهم لديه من سعادة ابنه.

ظل يسير بلا هدى طوال النهار حتى هبط الليل .. وقادته قدماه إلى صديقه إيهاب الذي استمع لكل ما جرى، ثم تساءل في تجهم : وما العمل الآن ؟

أجابه فريد في إصرار : لن أعود إلى منزل أبي .. إنه يعاملني كطفل وسأثبت له انني لست طفلاً وأن كل أمواله لا تهمني في شيء.

ــ ولكن ذلك لن يحل مشكلتك.

– في الصباح سأذهب إلى ليلى وأطلب يدها .. وسأخبرها بالحقيقة وليكن ما يكون.

وتطلّع إلى صديقه في رجاء وارتباك قائلاً : هل يمكنني قضاء الليل في منزلك ؟

ربت إيهاب على كتف صديقه قائلاً في رفق : بيتي هو بيتك يا صديقي العزيز .. هل تظن أنني سأتركك تواجه هذه المحنة وحدك ؟.

وتعانق الصديقان في ود بالغ.

في الصباح الباكر غادر فريد منزل صديقه .. واستقل تاكسياً إلى منزل ليلى.

وفوجئ بالقفل الكبير الموضوع فوق الباب الخشبي ينبئ عن عدم وجود أحد بالداخل. وخرج له أحد الجيران ليقول : لقد غادر عباس وزوجته وابنتهما هذا المسكن وانتقلا إلى مسكن آخر في حي « الزمالك » .. وقد ساعدتهم في نقل أثاثهم الجديد إلى هناك.

غمغم فريد غير مصدق : حي « الزمالك » وأثاث جديد

.. من أين أتى عباس بالمال الذي يتيح له السكن في مثل هذا الحي الراقي ؟

والتفت إلى الجار متسائلاً : هل يمكنك أن تدلني على العنوان الجديد ؟

ظهر التردد على الجار، فلوح له فريد بعشرين جنيها أخذها الجار سعيداً وهو يقول : سأذهب معك حالاً.

وفوجئ فريد بالعمارة الفخمة التي سكنها عباس .. وطرق باب الشقة بشدة فانفتح له بعد لحظات، وظهر عباس في مدخلها وقد ارتدى روباً فاخراً، ورمق فريد في غضب قائلاً : ما الذي أتى بك هنا .. وماذا تريد ؟

فريد : كنت أظن أنك بانتظاري لتنفيذ ما اتفقنا عليه.

قال عباس ساخراً : هل تقصد زواجك من ليلى .. لا .. لقد تغيّر الاتفاق.

ــ ماذا تعني بذلك ؟

أجاب عباس هازئاً: أنا رجل لا أحترم اتفاقاتي .. وليس لك عندي شيء .. أم هل تظن أنني سأزوجك

ابنتي بعد أن طردك والدك من منزله ونوى حرمانك من ماله إن تزوجت ليلى ؟

رمقه فريد في غضب وقال : لقد فهمت الآن كل شيء .. لقد جاء إليك والدي بأسرع مما تصورت وعقدتما صفقة معاً .. أن تنال هذه الشقة الفاخرة والأثاث الجديد وربما بعض المال مقابل أن ترفض زواجي من ليلى .. أليس كذلك ؟.

بصق عباس على الأرض بطريقة وضيعة قائلاً : لقد منحني وظيفة لديه أيضا .. هل لديك مانع ؟

وبلهجة أشد سخرية أضاف : أم أنك ستظل تواصل تلك التمثيلية الغبية بأنك جئت تطلب يد ليلى لأنك تحبها دون النظر إلى الفارق بينكما ؟

هتف فريد في إصرار : أنا أحبها بالفعل وإلا ما ذهبت لأبي طالباً أن يأتي معي لخطبتها.

قال عباس ملوحاً بيديه في ملل : لقد أتيت متأخراً .. فقد تقدم عريس آخر بالأمس طالبا يد ليلى .. وقد وافقنا عليه والزواج يوم الخميس القادم.

هتف فريد ذاهلا : عريس .. من هو ؟

ـ لا بد أنك تعرفه .. إنه غريب الدسوقي .. مدير أعمال والدك.

اتسعت عينا فريد في ذهول وصرخ في عباس : غريب الدسوقي .. هل ستتزوج ليلى ذلك العجوز المتصابي الذي تجاوز السبعين من عمره ؟

هز عباس كتفيه في لامبالاة قائلا : أنا حر أزوج ابنتي لمن أشاء.

تساءل فريد في ذهول : وليلى .. ما رأيها ؟

أجابه عباس ساخراً : ومنذ متى كان لها رأي .. سوف تتزوج من نوافق عليه رغما عنها .. وإن رفضت سنقنعها بنفس الطريقة التي أقنعاها بها سابقا لكي توافق على خطوبتك لها.

وتصاعدت أنفاس فريد في لهاث .. انكشفت المؤامرة كاملة .. لم يكن يظن أن والده بمثل ذلك الجبروت والقسوة .. لقد تحرك في سرعة لا تصدق ليغلق في وجهه كل الأبواب، فاشترى عباس وجاء بعريس لليلى. وعاد صوت

والده يدوي في أذنيه قائلاً : « إنك لن تتزوج هذه الفتاة .. وستعود لي نادما ».

أمسك فريد بياقة عباس في غضب هائل وصاح به : أيها المجرم الوغد .. هل تريد تزويج ابنتك رغماً عنها لذلك العجوز الذئب ؟

دفعه عباس في وحشية زاعقاً : ابتعد من هنا أيها الأحمق وإلا نالك مني ما يسوؤك. وأخرج من جيبه مطواة لوّح بها في وجه فريد فتراجع فريد في حذر للوراء .. ومن الداخل خيل له أنه يسمع شهقات وأنات ليلى .. كأن شخصا يقوم بضربها وتعذيبها .. وكان هذا يفسر غياب حسنية داخل الشقة، فاشتعل غضب فريد إلى حد الانفجار، واندفع نحو عباس قائلا : أنت في حاجة لمن يُلقنك درساً في الأخلاق.

وبحركة « جودو » بارعة أطاح بالسكين من يد عباس، وباليد الأخرى أمسكه من ياقته ورفعه عالياً، ثم هوى به على الأرض في عنف.

وسقط عباس فوق الأرض الصلبة متألما بشدة وهو لا

يصدق ما جرى له. ومن سوء حظه أن أحداً لم يخبره أن فريد حاصل على عدة أحزمة في رياضة « الجودو »، وقادر على قتال بضعة رجال في وقت واحد .. وأطبق فريد يديه فوق رقبة عباس في غضب هائل وهو يقول له : أنت لست أبا .. بـل وحشـاً.. لو كان في قلبك ذرة أبوة واحدة ما فعلت بابنتك كل ذلك .. ولهذا سوف أقتلك لأريحها من شرك حتى لو كان الموت هو نصيبي أيضا.

وراح يضغط بشدة على رقبة عباس الذي شحب وجهه وحاكى وجوه الأموات وجحظت عيناه .. وقال في صوت متحشرج : دعني .. لا تقتلني وسوف أخبرك بالحقيقة.

زاد فريد من ضغطه على رقبة عباس وهو يقول : أي حقيقة أيها المخادع ؟

في صوت أقرب إلى الموت قال عباس : إنني لست والد ليلى.

كانت العبارة مفاجئة مذهلة لفريد .. فتراخت أصابعه

حول رقبة عباس، وتأمله في ذهول مردفا : أنت لست والدها .. وحسنية هل هي أمها ؟

أجاب عباس في صوت مختنق : إنها ليست أمها أيضا.

سأله فريد ذاهلا : إذن من هما أبوها وأمها ؟

أجابه عباس في خوف : لا أدري .. لقد عثرنا عليها تائهة عندما كانت طفلة في الثانية من عمرها .. وكانت زوجتي عاقراً لا تنجب فأخذنا الطفلة وأخبرنا الجميع أنها ابنتنا وأطلقنا عليها اسم ليلى .. فنشأت وهي تظن نفسها ابنتنا حتى هذه اللحظة.

غمغم فريد في ذهول : هل عثرتما عليها .. أم اختطفتماها لكي تعلماها أساليب النشل والسرقة على ايديكما ؟

قال عباس باكياً من الألم : لقد ظننا أننا سنستفيد منها .. ولكنها رفضت أن تشاركنا عملنا بعد أن كبرت .. ولذلك أردنا تزويجها لمن يدفع لنا ثمنا أكبر لنتخلص منها.

زأر فريد في صوت رهيب : أيها الوحوش .. كان

يجب أن أدرك ذلك من البداية .. إن ليلى رقيقة جميلة كالملاك، ولا يمكن أن تكون ابنتكما بأي حال من الأحوال .. فمن كان على استعداد لبيع ابنته باسم الزواج وقبض الثمن حتى لو تعرضت ابنته للانحراف بسبب ذلك، مثل هذا الشخص لا يكون أباً حقيقيا بكل تأكيد .. فكيف غاب عني ذلك وقتها ؟

وشد قبضته على رقبة عباس وهو يسأله : إنكما لا يمكن أن تكونا قد عثرتما عليها بل اختطفتماها .. أليس كذلك أيها المجرم ؟ أخبرني بالحقيقة أو أقتلك ؟

أجابه عباس في صوت متحشرج : هذا صحيح لقد اختطفناها من أمام فيلا فاخرة بحي « المعادي » .. لها حديقة واسعة وفي مدخلها تمثال لفهد من الرخام .. وهذه الفيلا تقع أمام كازينو « الجود شوت » تماما .. وكانت ليلى وقتها تلهو أمام باب الفيلا .. وعندما غفلت عنها عين مربيتها أسرعنا باختطافها والهرب بها.

غمغم فريد في أسى بالغ : يا إلهي .. ولعل والديها كادا يموتان بسبب غياب ابنتهما .. أيها الوحوش.

وترك عباس يفلت من بين يديه .. واحتمى عباس بباب شقته وهو يقول : إنك لن تستطيع أن تثبت شيئا مما قلته لك .. فهناك شهادة ميلاد لليلى سجلتها باعتباري والدها عندما اختطفناها .. وأي قوة في العالم لن تثبت عكس ذلك .. وسوف تتزوج ليلى من ذلك العجوز المتصابي ونقبض أنا وحسنية الثمن .. ولن يستطيع أي إنسان في العالم منع هذا الزواج.

وأغلق عباس الباب في عنف في وجه فريد عندما اندفع إليه ثائرا ..

كاد فريد يحطم الباب ليخبر ليلى بالحقيقة وينقذها من يدي هذين الوحشين .. ولكن لم يكن لديه دليل غير ما قاله عباس .. وكان من المؤكد أن عباس سينكر ما قاله دون شك .. كان في حاجة إلى دليل لإنقاذ ليلى من المصير الذي ينتظرها.

كان عليه العثور على والدي ليلى الحقيقيين .. فهما الأمل الوحيد الباقي لإنقاذها.

وبرغم الخطر الذي يحيط بليلى مع هذين الوحشين

.. فما كان في استطاعة عباس وحسنية إيذاؤها حتى يضمنا زواجها والمال الذي سيعود عليهما بسبب ذلك ..

كانت ليلى في أمان إلى حين .. وكان عليه استغلال الوقت القليل المتبقي لصالحه. وانطلق فريد إلى فيلا والده .. كان في حاجة إلى بعض المال الذي يحتفظ به في حجرته .. وكان واثقا من أنه لن يصادف والده الذي اعتاد أن يخرج لعمله مبكرا ولا يعود إلا في المساء المتأخر.

وما كاد يخطو داخل الفيلا حتى وجد البستاني يشهق بالبكاء .. فأصابته الدهشة وهتف به : ماذا جرى لك .. لماذا تبكي ؟

ولكن ومن الداخل تصاعدت صرخات هيستيرية لرجل يبدو في حالة أقرب إلى الجنون .. وميّز فريد صوت الصرخات .. كانت لوالده. فاندفع يصعد السلالم في سرعة وذهول .. وفي مدخل الفيلا صدمه المشهد الرهيب.

كان والده يبدو كما لو كان قد أصابه جنون .. وقد راح يبكي ويضحك في وقت واحد بشكل هيستيري .. واندفع إليه فريد ذاهلا يسأله : والدي .. ماذا بك ؟

شهق الاب ببكاء حار وصرخ : لقد خسرت كل شيء .. خسرت كل أموالي .. قام منتصر العيسوي بخدعة في الصفقة الأخيرة فجعلني أشتري بعشرين مليون جنيه أسمنت للبناء وأنا أظن أنني كسبت صفقة رابحة، ثم اكتشفت أن أكياس الأسمنت لا تحتوي على غير التراب .. لقد خدعني وتركني أفوز بالصفقة بعد أن أغراني بها .. وبعد أن دفعت فيها كل ما أملك اكتشفت أنني اشتريت ترابا .. وسوف أضطر لبيع كل ما أملك لسداد ديوني .. حتى هذه الفيلا سأبيعها ولن يكون لنا مكان يأوينا بعدها.

وراح يضحك في هيستريا .. ثم امتزجت ضحكاته بشهقات البكاء. وبقي فريد في مكانه مذهولا لا يصدق ما سمعه .. وتساءل .. ترى هل ما حدث هو عدالة السماء .. لطالما قام والده بتحطيم الآخرين دون أن تخالجه أي شفقة أو رحمة بهم.. فهل مارس معه القدر اللعبة نفسها ؟.

اقترب من والده في ألم قائلا : لا تفعل بنفسك ذلك يا والدي .. دفعه والده في غضب هائل صارخا : ابتعد عني .. لا أريد أحداً بجواري.

تراجع فريد في صمت وهو يراقب والده في إشفاق

بالغ .. كانت قوة والده مركزة في المال .. وبضياع المال صار والده بلا قوة .. بل وأكثر ضعفا من أي إنسان آخر لم يجرب سطوة المال يوما ما ..

وغادر الفيلا وإحساس باليأس يكاد يقتله ..

وتذكر ليلى .. كان لا بد من العثور على والديها بأي ثمن .. فلم يكن الوقت يحتمل أي تأخير.

واستقل تاكسيا إلى كورنيش المعادي .. وهبط أمام كازينو « الجود شوت ».

وعلى الفور طالعته الفيلا الفاخرة الأنيقة .. والتمثال الرخامي للفهد في مدخلها وحديقتها الواسعة التي بدت جرداء قاحلة لم تمتد إليها يد بالعناية منذ سنوات طويلة، ربما حدادا على الابنة المفقودة.

اقترب فريد لاهثاً من أسوار الفيلا .. وطالعته لوحة صغيرة نحاسية معلقة على الباب تحمل اسم صاحب الفيلا .. وقرأ فريد اسم صاحب الفيلا فتصاعدت أنفاسه في ذهول طاغ .. كان صاحب الفيلا هو « منتصر العيسوي » ! !

« الصفقة »

توقف فريد مذهولا .. لا يكاد يصدق المفاجأة غير المتوقعة.

كانت ليلى هي ابنة منتصر العيسوي .. عدو والده اللدود الذي تسبب في تحطيمه !.

ولـم يجـرؤ علـى الإقتـراب أو دق الجـرس.. وأحس بطنين هائل في رأسه وأنه عاجز عن التصرف أو اتخاذ أي قرار. شعر أنه لعبة صغيرة ضئيلة في يد القدر. وفكر ذاهلاً .. أي قدر عجيب هذا الذي يتحكم بنا ويخط مصائرنا ؟

وعاد إلى منزله فلم يصادفه البستاني ولا أي من الخدم .. ووجد والده راقداً فوق فراشه منهاراً وقد بح صوته من كثرة الصياح والصراخ وصارت عيناه حمراوين بلون الدم.

وما أن أقبل فريد حتى هتف به والده باكيا : أين كنت يا ولدي .. هل قررت أن تتخلى عني أيضا بعد أن تخلى عني الجميع لضياع مالي ؟

ترقرقت الدموع في عيني فريد وقال لوالده : أنا لن اتخلى عنك أبداً يا والدي.

وأطرق برأسه في ألم قاتل مغمغماً : يا للقدر العجيب .. إنه لم يختر لي من أحب إلا ابنة الد أعدائك يا أبي .. والرجل الذي تسبب في تدميرك.

تساءل الاب في وهن : ماذا تقول يا ولدي .. ولكن منتصر العيسوي ليس له أولاد أو بنات.

أجابه فريد مؤكداً : لا يا أبي .. بل له ابنة شابة .. إنها ليلى التي أحببتها.

تساءل الاب في دهشة دون وعي : ليلى من ؟

أجاب فريد في ألم طاغ : ليلى ابنة حسنية الخادمة .. لقد اكتشفت أن هذه المجرمة وزوجها اختطفا ليلى من أمام فيلا والدها وهي طفلة، وادعيا أنها ابنتهما .. ثم اكتشفت الحقيقة منذ قليل وهي أن ليلى هي ابنة منتصر

العيسوي. قفز الرشيدي من فراشه وقد تقمصته قوة هائلة، وحدّق في ابنه ذاهلاً وهو يقول : هل تقول الصدق ؟

أجابه فريد في وهن بالغ : هذه هي الحقيقة يا أبي.

صاح الرشيدي لاهثاً : أخبرني بكل شيء .. كل شيء منذ البداية.

راح فريد يقص على والده كل ما حدث مبتدئاً منذ أن شاهد ليلى لأول مرة، وانتهاءً باكتشافه أن الفيلا التي اختطفت ليلى منها هي فيلا منتصر العيسوي. وما أن انتهى من روايته حتى التمعت عينا الرشيدي ببريق طاغ .. وهتف في فرحة هائلة : يا إلهي .. لقد تذكرت الآن .. كان لمنتصر العيسوي طفلة فقدها منذ ستة عشر عاماً .. وقيل أنها تاهت أو اختُطفت وبحث هو عنها طويلا دون ان يعثر عليها .. إنها هي تلك الفتاة دون شك .. وقد اختارك القدر أنت بالذات يا ولدي ليكشف لك هذه الحقيقة من أجل أن تنتهي مشاكلنا .. إن القدر الذي جعل منتصر العيسوي دون سواه يفقدني مالي هذا القدر سوف يعيد مالي إلي مرة أخرى .. وبواسطتك أنت يا ولدي.

تساءل فريدّ في دهشة : أنا .. كيف ؟.

أجاب الرشيدي في صوت لاهث : بأن تذهب وتتزوج ليلى حالاً .. وبعدها نكشف لوالدها الحقيقة ونضعه أمام الأمر الواقع .. وأنت بصفتك زوج ابنته الوحيدة سوف تتحكم في كل ماله وتعيد لي ما سلبه منتصر العيسوي مني.

شحب وجه فريد وقال : ماذا تقول يا أبي .. هذا مستحيل .. لا يمكنني أن أقوم بهذه اللعبة أبداً.

تساءل الرشيدي لاهثاً : ولا حتى لأجل أبيك ؟

أشاح فريد بوجهه متألماً وقال : لا تطلب مني الخداع يا أبي من أجل المال .. يكفي ما نالته ليلى من جراح بسببي .. ولن أضيف إليها مزيداً من الجراح عندما تكتشف الحقيقة.

صاح الرشيدي ثائراً : أيها الولد العاق الذي يرفض مساعدة أبيه .. ولكنني سأتصرف وحدي وسأعقد صفقة مع العيسوي أستعيد مالي من خلالها.

واندفع يغادر المكان كالعاصفة تاركاً فريد وحده لا يفهم ما يقصده والده .. ولا نوع الصفقة التي تحدث عنها.

واستقبل منتصر العيسوي عدوه اللدود في سخرية وهو يهبط سلم فيلته الفاخرة الأشبه بالقصر. واقترب من الرشيدي وراح ينفث سيجاره في وجهه وهو يقول شامتاً : هل جئت يا ترى باكياً نادماً تطلب السماح والعفو لتستعيد مالك .. ولكنك تبذل مجهوداً ضائعاً يا عزيزي .. فلطالما تسببت لي في خسائر بالملايين .. وعندما حانت لي الفرصة لم أتوان عن تدميرك.

شد الرشيدي قامته وقال : أنا لم أجيء للتذلل .. بل جئت أعرض صفقة وأنا متأكد أنك ستربح من ورائها الكثير.

تساءل العيسوي ساخراً : أي صفقة هذه .. وماذا تملك أنت الآن لتدخل به صفقات معي ؟.

أجاب الرشيدي في لهجة عميقة قائلاً : أنني أملك أن أدلك على ابنتك الضائعة منذ سنوات.

ما إن نطق الرشيدي بتلك الكلمات حتى سقط السيجار من بين أصابع العيسوي وجمد مكانه بلا حراك، وبدا كأن كل خلية فيه قد شلت حتى تنفسه توقف أيضا.

وفي صوت لاهث محموم وبعينين بلون الدم، أشار

العيسوي بأصبعه إلى الرشيدي قائلاً : أي لعبة قذرة جئت تلعبها معي .. لقد ضاعت ابنتي إلى الأبد ويستحيل أن يهتدي إليها إنسان بعد كل هذه السنين.

أجابه الرشيدي في ثقة : أنا أملك أن أدلك عليها .. والآن !.

ومن الخلف تصاعدت صرخة خافتة .. وظهرت زوجة العيسوي فوق السلم مترنحة تكدا تهوى فاقدة وعيها .. فأسرع زوجها إليها يسندها .. وأشارت المرأة إلى الرشيدي في صوت محموم قائلة : هل تعرف مكان ابنتنا حقا ؟

ابتسم الرشيدي في دهاء قائلاً : هذا صحيح .. فقط أطلب المقابل .. أن يعيد زوجك لي الملايين التي جعلني أفقدها في صفقة الأسمنت فأدله على مكان ابنتكما.

ارتجف العيسوي وهو يقول : سوف أعيد لك كل شيء .. كل شيء وأقسم لك .. بل سأمنحك كل ما تريد ولو ثروتي كلها .. فقط دلني على مكان ابنتي إن كنت تعرفه حقاً.. فمنذ ضاعت ابنتنا ونحن نعيش بلا هدف أو أمل في الحياة.. وكل هذا المال الذي جمعناه لم يكن له أي فائدة أو سعادة لنا.

وتبللت عيناه بالدموع وأجهشت زوجته ببكاء مرير .. وتأملها الرشيدي في تأثر وقال : سوف أدلك على مكان ابنتك حالاً .. فأنا أيضا تعلمت درساً قاسياً في ألا أطمع في حماية مالي وقوته وألا أسعى لتحطيم الآخرين من خلاله .. فالله الذي أعطى قادر علي أن يأخذ ما أعطى في أي لحظة .. وعلى الإنسان ألا يقسو على الآخرين بما وهبه الله .. هيا بنا.

وانطلقت سيارة الرشيدي تسابق الريح باتجاه « الزمالك » .. وخلفها سيارة شرطة استدعاها منتصر العيسوي خشية من قيام عباس بمحاولة إيذائهم أو أن يرفض إعادة ابنته إليه.

وعندما فتح عباس الباب فوجئٌ برجال الشرطة يقتحمون المكان .. فاندفع محاولاً الهرب في خوف غريزي، ولكن رجال الشرطة كانوا أسبق في القبض عليه هو وزوجته.

وفي الداخل كانت ليلى ملقاة على الارض مكومة بشعر مبعثر ووجه متورم من آثار اللطمات والضرب .. وقد راحت تنهنه في صوت باكٍ مرير.

ووقف العيسوي وزوجته يشاهدان ابنتهما التي لم تنتبه

لوجودهما .. والأب يجاهد لكي لا ينفجر باكياً.

وصرخت الأم رغما عنها : آه يا ابنتي الغالية. رفعت ليلى عينين مذبوحتين إلى المرأة الباكية .. وجمدت نظراتها في ذهول بالغ ..

كان للمرأة نفس ملامحها .. نفس الوجه المستدير الحلو والعينين السوداوين العميقتين والأنف الدقيق والشعر الحريري الذهبي .. وكان الرجل الواقف بجوار المرأة له ملامح تقترب من ملامحها أيضا .. له نفس قوامها النحيل والنظرة الآسرة والفم المزموم القوي الإرادة .. وفي الحال قفز إلى عقلها ذكرى قديمة باهتة عمرها سنوات طويلة لرجل وامرأة كان طيفهما يأتي إلى ذاكرتها في غموض واضطراب، فتحس لذكراهما المشوشة براحة لا تدري لها سببا .. كان للرجل والمرأة نفس ملامح هذين الاثنين الواقفين أمامها يرنوان إليها في ألم بالغ. وتحرك شيء في داخل ليلى .. دلتها الغريزة إلى الحقيقة على الفور فقفزت من مكانها صارخة : أبي .. أمي.

وتعانق الثلاثة في مشهد دمعت له عينا الرشيدي .. الذي لم يبك من قبل إلا لأجل المال وحده.

« ابق لأجلي »

جمع فريد القليل من ملابسه في حقيبة متوسطة .. وتحرك ليغادر حجرته إلى الأبد.

لم يعد له بقاء في ذلك المكان .. لا يمكنه أن يكون جزءا في صفقة لا يرضى عنها بعد أن أدرك ما قصده والده.

لم يعد في قلبه ذرة قادرة على الغش والخداع والاحتيال .. إنه على استعداد لأن يفقد سعادته وحبه .. ولا يفقد الاحترام الذي اكتسبه في عيني ليلى ..

يدرك أنها وإن لم تكن تحبه فهي صارت تحترمه .. وهو لن يضحي باحترامها له ولا بالملايين.

وخطا نحو صالة الفيلا ليغادرها إلى الأبد .. ففوجئ بها .. ليلى.

وجهها كانت به آثار جراح ولطمات حديثة .. ولكنه

كان برغم ذلك يفيض بفرح لا مثيل له .. وعيناها تتألقان بوميض سعادة لا حد لها.

توقف فريد في مكانه لا يدرك سر ما حدث .. ولا سبب مجيئها .. خطت ليلى نحوه .. توقفت على مسافة ذراع منه .. همست في رقة : إلى أين أنت ذاهب ؟

أجاب في حزن : العالم متسع .. وسأختار مكانا جديداً أبدأ فيه من جديد.

قالت في شجن : ألم يعد لك في هذا المكان من تحبهم لتبقى لأجلهم ؟.

ــ قد يكون الحب دافعا للرحيل .. حتى لا نكون مضطرين لمواصلة الإساءة لمن أحببنا إن بقينا بقربهم.

تأملت عيناه .. أبحرت في مقلتيه .. افردت شراع حبها في بحر مشاعره .. همست تقول له في رجاء : وإن طلبت منك البقاء .. ألن تبقى ؟

قال في ألم لم أسبب لك إلا الآلام والأحزان.

قالت بوجه ينبض بالحياة : بل بسببك استرددت ما ضاع مني .. بسببك اهتديت إلى أبي وأمي الحقيقيين وعدت

إلى الحياة مرة أخرى، بعد أن حسبت نفسي ميتة وأنا حية.

بقي فريد صامتاً .. تكشّف له ما فعله والده دون أن يخبره أحد .. قال في ألم : لست أرغب في الحصول على ثمن ما فعلته لأجلك .. الآن يرتاح قلبي ويهدأ ضميري لأني تمكنت من أن أعيدك إلى أسرتك الحقيقية، لتعيشي في سعادة وهناء بقية عمرك بدلاً من الحياة مع هذين اللصين اللذين كنت تظنينهما والديك الحقيقيين.

قالت هامسة مشفقة عليه : لولاك ما كان لي نصيب من السعادة أو الهناء ولكن برحيلك يتبدد كل هنائي .. فلا سعادة لي مع شقائك.

كانت كلماتها عطرة ونظراتها حانية رقيقة .. وتأملها فريد بشغف وبداخله تتصارع رغبتان متأججتان. إحداهما تدفعه للرحيل .. والأخرى تدعوه للبقاء.

قال وهو يهرب بعينيه : لن أغفر لنفسي أبداً .. أنني يوما ما حاولت تلويثك.

قالت في براءة طفلة : أنا غفرت لك وسامحتك .. فهل من سبب لعذابك بعد الآن ؟

تواجها .. ارتعشت أهدابهما .. ظل بصرهما معلقاً كُلٌّ بالآخر .. أحسا أنهما يتوحدان ويمتزجان .. أفلتت أصابعه حقيبته .. امتدت متلهفة تلوذ بأصابعها. ترقرقت دموع السعادة في عيني ليلى .. همس فريد يقول لها : أحبك .. أحبك اكثر مما تتخيلين.

رددت في بعض الخجل : أنا أيضاً أحبك أكثر مما تتخيل أو تتصور.

هتف : لا أكاد أصدق من شدة سعادتي.

قالت في صدق وحب : إنني مدينة لك بحياتي كلها .. فكيف لا أحبك وقد رأيتك تبذل نفسك من أجلي وتتبدل وتتحول إلى إنسان آخر مختلف، صرت أعشق كل ما فيك منذ اللحظة التي رأيتك فيها ترسل لي بالمدرسين الخصوصيين وتشتري معاملة أبويّ المزيفين لي بالمال حتى أنجح وأتفوق، منذ تلك اللحظة أحببتك أكثر من أي شيء في العالم .. حتى نفسي.

قال لاهثاً : لم تخبريني بذلك عندما تقابلنا لحظة إعلان نجاحك ؟

تورد وجهها بحمرة خجل وقالت: لم أقوى على الإعتراف بحبي لك .. خشيت أن يكون ما فعلته لأجلي بدافع إحساسك بتأنيب الضمير لا بسبب الحب، وفشلت لحظتها في أن أقرأ مشاعرك الحقيقية في عينيك .. بسبب ذلك الحزن والألم الذي كان يملؤهما.

طوقها بعينيه في شغف بالغ وهتف : آه أيتها الحبيبة .. سوف تكون حياتنا لحظات متصلة من السعادة بعد الآن .. وسأعوضك عن كل الأحزان الماضية.

انفتح الباب الخارجي للفيلا وخطا الرشيدي والعيسوي وزوجته داخلين تطوقهم سعادة بالغة.

فتح العيسوي ذراعيه في ود بالغ قائلاً : أهلاً بزوج ابنتي القادم.

اندفع إليه فريد يحتضنه .. ودمعت عينا العيسوي وقال : بعد الآن لن يفرقنا شيء .. سنعيش معاً كأسرة واحدة .. ولكني لن أوافق على زواج ابنتي منك الآن فهي لا تزال طفلة.

أشرق وجه فريد بسعادة لا حد لها وقال : سوف أنتظر

ليلى حتى تنتهي من دراستها فنتزوج .. وسيكون هذا الوقت كافياً لي لأثبت لها أنني جدير بها، بعملي ومالي الذي سأدخره من هذا العمل لأبني عشنا السعيد دون أن أعتمد على مال الآخرين.

ترقرقت دموع السعادة في عيني والد ليلى وقال : أنا واثق أنك ستجعلني أفخر بك كما جعلتني أنعم بالسعادة بقية أيام حياتي.

وأشار إلى فريد وابنته مكملاً : وستكونان أنتما سبب سعادتنا الحقيقية .. تلك السعادة التي فشل المال في تحقيقها لنا.

الفاتنة الصغيرة

تأليف: مجدي صابر

كانت ليلى رائعة الحُسن مكتملة الصفات بالرغم من أنها لا تزال تخطو للخروج من شرنقة مراهقتها. وعندما شاهدها فريد جُنَّ بها.. وعندما عرف أن ليلى إبنة خادم أراد نصب شباكه عليها للإيقاع بها، مستخدماً جبروت المال وسلطانه..

ولكن ليلى وقفت ضد إرادته وماله برغم عجزها وفقرها.. وكان الصدام بينها وبين فريد الـ[illegible] العابث حتمياً.. لتنفجر المزيد من الصر[illegible] والآلام للفتاة الصغيرة المسكينة.. ثم المفاجأة المذهلة في النهاية.. التي قلبت رأساً على عقب.

Bibliotheca Alexandrina
0309994

دار الجيل
بيروت